التعليم الحواري والتعليم المدرسي
(دراسة في ديموقراطية التعليم)

د. صلاح كاظم جابر
كلية الآداب / جامعة القادسية

المقدمة :

يعد التعليم أحد أهم آليات مشروع التحديث في المجتمعات العربية اذ يتم مشروع التحديث عبر التعليم والثقافة من خلال التوسع في نشرهما وطرحهما أمام الفئات الاجتماعية الأكثر حرمانا. ومع ذلك فقد ظل مفهوم العلم والمعرفة ودورهما في هذا المشروع مفهوماً نظريا فحسب على الرغم من ان التعليم يعد أحد أهم مجالات الصراع الاجتماعي والسياسي في المجتمعات العربية خلال القرن العشرين، لذا فقد بقي هذا المشروع حبرا على ورق لحد الان على الرغم من ان القوى الوطنية المناهضة للاستعمار ولكافة صنوف القهر والتسلط استطاعت أن تجعل من التعليم أحد آلياتها وأدواتها الحادة في مواجهة الهيمنة والاستبداد، ذلك انطلاقا من أن التعليم في جملته يشيع العلم والاستنارة العقلانية بين طلابه والراغبين فيه، فبالرغم من ان التعليم يعد أحد أجهزة الدولة التي تسيَر بالأيديولوجيا غالبا وبالعنف أحيانا اخرى، إلا أن النظام التعليمي يتمتع بقدر من الاستقلالية تتيح له أن يساعد في تكوين وتشكيل وعي الأجيال الجديدة بصورة معاكسة لما ترسمه الدولة احيانا من خطط وسياسات وما تضعه من برامج ومناهج دراسية لتدجين ونمذجة المواطن، وذلك من خلال المنهج الذي يعبر عن مجمل التفاعلات الاجتماعية في محيط المدرسة وبيئة التعلم، وصلاحيات الإدارات المدرسية التي تتباين وتتنوع حسب الإطار الفكري والمرجعي الذي تنتسب إليه.

في الوقت الذي تتجاوز فيه الحداثة التصورات التقليدية للعالم، سواء كانت دينية أو سحرية، بحكم أنها تبحث عن بعض الثورات العميقة في التنظيم الاقتصادي والاجتماعي التي تتجلى على صعيد العادات ونمط الحياة اليومية. والحداثة على الرغم من تأثيرها على معظم مجالات الحياة، فأنها تتميز بكونها، متغيرة في مواجهة ثوابت التقليد ورغم أن الحداثة لاتعبر فقط عن واقع التغيرات التقنية العلمية والسياسية والاجتماعية التي وقعت في التاريخ، وإنما تدخل كذلك ضمن بقية العلاقات والعادات والثقافات التي تكثف التحولات البنيوية على صعيد السلوكيات الاجتماعية. فلقد لعب التعليم الحديث دوراً هاماً في تطور الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية ،كما أنه أنتج عقولا استطاعت في مرحلة لاحقة أن تقود التغيير والتقدم ومناهضة القديم. أما التحديث الذي يشير إلى وصف العمليات التي بواسطتها تكتسب هذه المستويات من التنمية فهو تلك المحاولات والتطلعات التي تتم من خلال البنيات المؤسسية القادرة على استيعاب التحولات المختلفة التي تطرأ على الزمن والمجتمع.

ولقد مضى القرن العشرون ولم تستطع معظم المجتمعات العربية ومنها المجتمع العراقي على وجه التحديد إنجاز مشروع الحداثة أو مشروع النهضة وذلك لغياب الديمقراطية وتمركز سلطة الدولة المركزية في الفرد الحاكم وغياب الوعي الجماهيري، وغياب الإندماج الجماهيري في العمل السياسي والثقافي، وسيادة الخطاب العربي التقليدي الماضوي، وسيادة الفكر الماضوي الذي استخدمته السلطة السياسية الاستبدادية عبر عقود طويلة لتغذية الجماهير بوعي زائف يعلق أحلامها وطموحاتها وحرياتها ووجودها ذاته بطريق غير الطريق العلمي العقلاني المستند إلى بناء تنمية حقيقية تحيل الواقع العربي من حالة التردي والتخلف إلى أفق وفضاءات أكثر رحابة واتساعاً. ان الهوة بين متطلبات التعليم المؤسسي الممنهج الرسمي الذي تقوم به الدولة من خلال مؤسسات التعليم عبر المراحل التعليمية والمعارف المحددة مسبقا، والمراد منها تخريج انصاف متعلمين ذوي كفاءات ومهارات محددة تتناسب مع التخلف التكنولوجي الذي يعيشه المجتمع الذي عانى من العزلة الطويلة, وبين التربية بوصفها

ممارسة يومية وخبرات حياتية يعيشها الفرد منذ ولادته وحتى مماته ، لاتتطلب مؤسسات تعليمية محددة فحسب، بل إنها تتعداها الى وسائط عدة مثل الأسرة، وسائل الاتصال العامة، الأحزاب السياسية، وفي اغلب الاحيان المدرسة.

لقد تم الربط بشكل ميكانيكي بين استبداد السلطة السياسية وممارستها اللاعقلانية والنظام التعليمي, والنظام التربوي من مرحلة رياض الأطفال إلى الجامعة. ومشكلة الأمية هي الاخرى ارتبطت ببنية وتوجه النظام السياسي والإرادة السياسية بشكل قاطع، أكثر من ارتباطها بالنظام التعليمي نفسه، من هنا فإننا نجد أن النظام التعليمي هو تعبير بصورة أو بأخرى عن طبيعة وبنية النظام السياسي وتوجهاته العامة ألا ان المؤسسة التعليمية مازال لها الدور الاهم في محاولات الإفلات من تلك القبضة المهيمنة على مجمل حركة النظام التعليمي والمدرسي منه على وجه التحديد. لذا فقد قسم الباحث موضوع بحثه الى اربعة فصول مثل الاول منها الاطار العام للبحث في حين مثل الثاني التحديد العلمي للمفاهيم الواردة في عنوان البحث اما في الفصل الثالث فقد حاول الباحث فيه بيان خصائص كل من التعليم المدرسي واللتعليم الحواري بغية ايضاح نمط من المقارنة البسيطة بين نمطي التعليم ثم عمل على شرح ديموقراطية التعليم لكي يكون هنالك رابط في اجزاء عنوان البحث للوصول الى تحقيق الاهداف العلمية للباحث اما في الفصل الربع فقد عمل الباحث على بيان دور التعليم في احداث التغير الثقافي المطلوب وبالتالي دوره في خلق الحاجة الى تغيير النظم التعليمية ليعقبها بدور التعليم في توجيه التغير الاجتماعي الذي يكتسب طابع الحتمية وقد تلت هذه الفصول مجموعة منة الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث من خلال تحليله للعلاقات الموجودة في البحث واعقبها بمجموعة من التوصيات التي يرى الباحث انها تسهم في حل مشكلة البحث ومن ثم كتب الباحث خاتامة بحثه وملخصا باللغة العربية والانكليزية .

المبحث الاول (عناصر البحث)

مشكلة البحث

تتكاتف العديد من العوامل الاجتماعية في خلق المشكلة الاجتماعية في جميع ميادين الحياة الاجتماعية والتي تنضوي تحت المؤسسات الاجتماعية المؤلفة للبناء الاجتماعي كالمؤسسة التربوية والمؤسسة الاسرية والمؤسسة السياسية والمؤسسة الاقتصادية بالاضافة الى المؤسسة الدينية الامر الذي يفرز الاثار السلبية على بقية المؤسسات الاجتماعية. وبالنظر لحتمية التغير الاجتماعي والحاجة الماسة الى توجيه هذا التغير في المجتمعات. فان مشكلة البحث تنحصر في النقاط التالية:-

١- انعدام التوازن بين مدخلات العملية التعليمية ومخرجاتها بما يجعل التعليم بشكل عام والتعليم الجامعي بشكل خاص لا يحقق اي من اهدافه الاجتماعية العامة وخصوصا في الاختصاصات الانسانية.

٢- تدني مستويات الوعي لدى الطلبة باهمية وطبيعة الاختصاصات العلمية التي ينتسبون اليها في التعليم الجامعي بل ان بعض الاختصاصات العلمية الانسانية على وجه التحديد تعد كعقوبة للطلبة الذين حصلوا على مجاميع متدنية في امتحانات البكلوريا التي تسبق المرحلة الجامعية.

٣- انخفاض المكانة الاجتماعية للتعليم في العراق بسبب العديد من الظروف الاجتماعية التي ساهمت في انخفاض المستوى التعليمي و بالتالي فلم تعد مدارسنا وجامعاتنا تخرج المثقفين او المتعلمين على اقل تقدير بل تعمل على تخريج طوابير من انصاف المتعلمين الساعين الى الحصول على وظيفة في القطاع العام على وجه التحديد لان هذا القطاع لا يتطلب اية خبرة او مهارة بل انها مجرد بطالة مقنعة.

٤- لم يعد التعليم احد وسائل تحقيق الذات بالنسبة الى الشباب الذكور منهم و الاناث بل تحول الى عملية اسقاط فرض للحصول على مؤهل علمي يضمن التعيين المركزي في دوائر الدولة.

ولكل العوامل الانفة الذكر التي يمثل كل واحد منها مشكلة اجتماعية بحد ذاتها و التي تستوجب من وجهة نظر الباحث اعادة النظر في النظم التعليمية في المجتمع العراقي ان لم نقل اعادة النظر في طبيعة الفلسفة التي تقوم عليها العملية التعليمية بما يتناسب مع معطيات العصر الرهن و الحاجات الاجتماعية للمجتمع و سبل تحقيقه للاهداف الاجتماعية العامة.

اسباب اختيار موضوع البحث

ان لدراسة فاعلية النظم التعليمية والتربوية بصفتها احد ميادين علم الاجتماع التربوي الذي يهتم العلم في دراسته للعلاقة المتفاعلة بين المؤسسة التربوية وبيقية المؤسسات المؤلفة للبناء الاجتماعية وتاثيرها فيها وتاثرها بها ناهيك عن دور هذه المؤسسة التربوية التي تعد واحدة من اهم المؤسسات الاجتماعية المؤلفة للبناء الاجتماعي في عملية احداث التغيير الاجتماعي المرغوب في المجتمع (تحديد اتجاه التغير الاجتماعي) تكتسب اهمية كبيرة جدا من وجهة نظر الباحث الامر الذي دفعه الى اختيار موضوع بحثه في هذا الميدان من ميادين علم الاجتماع التربوي و يمكن ان نوجز هذه الاسباب بما ياتي:-

١- يكاد يتفق جميع التربويين العرب على ان النظم التعليمية في المدراس الموجودة في المجتمعات العربية لا تفي بالغرض المطلوب الذي وضعت من اجله وذلك لان معظمها نظم قديمة عفا عليها الزمن لا نها لا تفي بالحاجات الاجتماعية في الوقت الحاضر الامر الذي يفقدها وظيفتها الاجتماعية ودورها في تحقيق الاهداف الاجتماعية.
٢- انخفاض المستوى التعليمي للطلبة على مختلف المستويات العلمية على الرغم من الانفاق العالي على العملية التعليمية الامر الذي يجعل من اقتصاديات التعليم في جانبها السلبي.
٣- ان ثبات المناهج التعليمية واعتماد هذه العملية على التلقين والحفظ لا تعمل على اطلاق الطاقات الابداعية للشباب او تفعيل مواهبهم وبالتالي اسهامهم في عملية تقدم وتطور المجتمع.
٤- التاثير السلبي لهذه النظم على المستوى العلمي للطلبة في المراحل العلمية اللاحقة بما يحدد من قدرات الطلبة و مواهبهم في مستوياتها الدنيا.

اهمية البحث

تكتسب البحوث الاجتماعية في ميادين علم الاجتماع وفروعه اهميتها من اهمية الظاهرة الاجتماعية وتاثيرها في الحياة الاجتماعية للفرد والمجتمع ايجابية كانت هذه التاثيرات ام سلبية. ويمكن ان تقسم اهمية البحث الى الاهمية الموضوعية والذاتية اذ تمثل كلا منهما مجموعة العوامل التي يرى فيها الباحث من الاهمية التي توضح الجوانب العلمية لهذه الظاهرة.

اولا : الاهمية الموضوعية:

١- اهمية اعادة النظر في نجاعة وفائدة اللنظم التعليمية في المجتمع العراقي ومدى اسهامها في عملية احداث الغيرات الاجتماعية المطلوبة و بالتالي تحقيق النمو والتقدم وتطور المجتمع من خلال تحقيق التوازن بين مدخلات اعملية التعليمية و مخرجاتها بالاضافة الى تحقيق الجانب الايجابي في اقتصاديات التعليم بما يضمن تحقيق الاهداف الاجتماعية للمؤسسة التربوية والعملية التعليمية على حد سواء بالاضافة الى الاهداف الفردية.
٢- ان النظم التعليمية المستخدمة في المجتمع العراقي اليوم تعد واحدة من اهم عوامل اغتراب الشباب عن واقع الحياة الاجتماعية. وذلك لعدم مواكبتها للتقدم العلمي والتكنولوجي الحاصل في العالم المعاصر بالاضافة الى ان هذه النظم تعمل على قمع الطاقات الشبابية من خلال اعتمادها على الطرق التقليدية في التدريس وفي طبية المواد الدراسية التي يتلقاها الطالب.

ثانيا : الاهمية الذاتية

١- ان الاندراج في نظام العولمة والتفاعل مع مجتمعات القرية الكونية اصبح بالنسبة الى المجتمع العراقي قاب قوسين او ادنى او بالاحرى انه مرهون بتحقق الامن داخل المجتمع و مازالت النظم التعليمية التي نعتمد عليها هي تلك التي تم اقتباسها من الغرب في ثلاثينيات القرن الماضي فهل يمكن مع هذه اللحال اكتساب او تحقيق و تفعيل الجوانب الايجابية للعولمة كالتقدم العلمي والتكنولوجي واستيعاب المضامين الاجتماعية للديموقراطية وتمثلها في الحياة الاجتماعية.

٢- ان عميلة الانتقاء بين الجوانب السلبية للعولمة و الجوانب الايجابية بحيث نرفض الاولى و نتمثل الثانية تعتمد من وجهة نظر الباحث بالدرجة الاساس على مقدار النضج الاجتماعي الذي يتمتع به الافراد في المجتمع العراقي من خلال تفعيل الوعي الاجتماعي لافراد المجتمع فهل تسهم النظم التعليمية الحالية في خلق مثل هذا الوعي وبالتالي تحقيق النضج الاجتماعي للفرد والمجتمع على حد سواء.

اهداف البحث

يهدف البحث من خلال تناوله موضوعه بالدراسة العلمية الى مجموعة من الاهداف العلمية التي يمكن ان نوجزها بالنقاط التالية :-

١- بيان الحاجة الى تغيير الفلسفة التربوية والنظم التعليمية في المجتمع العراقي بما يتلائم مع الحاجات الاجتماعية لحقيقية للمجتمع و افراده في زمن العولمة.

٢- بيان اهمية التفات السادة المسؤولين الى اعادة النظر في فاعلية الفلسفة التربوية و النظم التعليمية السائدة في المجتمع ومدى قدرتها على تحقيق الاهداف الاجتماعية والتي اصبحت من القدم بحيث لا تتلائم مع الحاجات الاجتماعية للمجتمع العراقي.

٣- بيان ان تحجر و جمود النظم التعليمية يعد واحدا من اهم عوامل المعيقة للانجاز والابتكار لذا فان هنالك حاجة حقيقية الى تجاوز عقبة تدني المستوى العلمي للطلبة من خلال تغيير النظم التعليمية من طبيعتها المدرسية الى الحوارية .

٤- بيان ان اهمية التعليم الحواري التي تقوم على تزويد الفرد بالمعرفة الحية والتي تعمل على دمجه في الحياة الاجتماعية و التخلص من اخطر الامراض الاجتماعية التي يمكن ان تصيب الفرد و المجتمع على حد سواء .

المبحث الثاني تحديد المفاهيم

التعليم (Didactic)

التعليم اللغة العربية يأتي من الجذر علّم (فعّل) والتفعيل هو تنشيط ما يمتلكه الفرد من المواهب الطبيعية والقدرات العقلية (التشديد للتعددية) وعلّم العلم تعليما أي زود الغير بما يمتلكه من العلم (إعتلم الشيء أي علِمه). فهو عملية التواصل التي تتم بين فردين في الأقل فيمنح الأول الثاني ما يمتلكه من العلم الذي يشير إلى إدراك الشيء بحقيقته وكذا يعني اليقين الذي يستند إلى مجموعة الخبرات والمعارف المتخصصة في إحدى مجالات الحياة الإنسانية إذ يطلق العلم على مجموع المسائل والأصول الكلية التي تجمعها فصول جهة كـ(الجغرافيا ،الكيمياء ،التاريخ ،الاجتماع) وهنا يختلف العلم عن المعرفة التي تكون جزءا منه فتشير في اللغة إلى الإدراك الجزئي والبسيط. في حين يشير الثاني (التعليم) إلى تلك العملية التي يكتسب من خلالها الفرد المعارف والخبرات التي تفيده في واقع حياته اليومية ومستقبله.(١)

والمعلِم من اتخذ من التعليم مهنة والمعلّم الملهم للصواب أو الخير (المفعّل) وهنا يكون التعليم فيما هو نافع لبني الإنسان الذي يوسم بأنه الخير والمتعلم هو من سعى إلى تحقيق هذا الخير بامتلاكه

العلم من خلال توظيفه في لتحقيق المنافع. وتعلم الأمر أي أتقنه وعرفه ويرتبط مفهوم التعليم باللغة العربية بالثقافة التي تشير الى الحذق و الاتقان.(٢)

أما التعليم في اللغة الانكليزية فيعرفه قاموس اوكسفورد التعليم (Didactic) بأنه عملية الحصول على الخبرة والمعرفة أو المهارة. أو هو البناء المنظم للقدرات الفردية. أي أن هذه العملية تنطوي على (الماسسة).(٣)

والتعليم في اللغة الإنكليزية يشير إلى ذلك التنظيم الذي تخضع له عمليات تزويد الأفراد بالخبرات والعارف الطبيعية والإنسانية والاجتماعية منها على وجه التحديد. (٤)

والتعليم من وجهة نظر علم الاجتماع يشير إلى عملية التكون التدريجي للخرائط المعرفية التي تعمل على تدعيم أو إضعاف الدوافع التي تجعل من نماذج الفعل جزء من العادات.(٥)

اما التعليم في علم النفس فهو من التعلم وهو تلك العملية التي يتم بموجبها تفعيل مجموعة القدرات التي يولد بها الفرد والتي تمكنه من التعلم عن طريق تزويدة بالعلوم و المعارف الانسانية اذ يعمل التعليم على تفعيل هذه القدرات بموجب عملية اجتماعية مخططة وموجه نحو اهداف اجتماعية محددة مسبقا قد تتطابق مع الاهداف الفردية للفرد نفسه اولا. ومن هنا تكون عملية التعليم عملية غائية لها محتواها إذ تتعدد أنماطها بتعدد محتوياتها فهي تهدف بالدرجة الأساس إلى توظيف المعلومات والمعارف والخبرات التي يكتسبها الفرد في عملية التعليم بما يعود بالنفع عليه وعلى أفراد المجتمع بشكل عام.(٦)

ويعرف أيضا على انه العملية التي تتم من خلالها نقل المعلومات أو توضيحاتها من المعلم وجعلها في متناول المتعلم ليكتسبها بالتحصيل بما يتناسب مع خبراته واستعداداته بحيث تضيف إلى الأخير المعرفة الحية* والخبرات.(٧)

والتعليم أيضا هو تلك العملية التي يغير فيها المرء نفسه بفضل العلوم والمعارف التي يحصل عليها والعادات والمهارات التي يكونها والاتجاهات الخلقية والفنية التي يكتسبها. وهنا يختلف مفهوم التعليم عن التعلم الذي يمثل الاستعداد الفطري عند الإنسان الذي يشير بدوره إلى العملية التي يغير فيها الإنسان من نفسه بما يحقق له التكيف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية نتيجة التفاعل الايجابي معها.(٨)

كما يعرف التعليم على انه عملية التدعيم أو الإضعاف التدريجي للدوافع التي تقوم بها الخبرات المعرفية المكتسبة عن طريق تعلم نماذج الفعل التي تصبح جزءا من العادات الاجتماعية.(٩)

كما تعرف عملية التعليم على أنها عملية تزويد الأفراد بالمعارف والخبرات والمهارات التي تمكنهم من استثمار إمكانياتهم ومواهبهم في توسيع مداركهم بما يحقق التقدم.(١٠)

الأمر الذي يعني إن التعليم هو تلك العملية التي تعنى بترجمة المفاهيم إلى سلوكيات حياتية بما يخلق حافزا للإبداع والتجديد والابتكار.

وهنا لا نجد بدا من الإشارة إلى التداخل الواضح بين التعليم والتربية التي نصطلح عليها في علم الاجتماع على أنها التنشئة الاجتماعية بجانبها الرسمي الذي تقوم به ثاني أهم المؤسسات الاجتماعية في حياة الفرد بعد الأسرة ذات الصفة الرسمية في المجتمعات المعاصرة إلا وهي المدرسة التي تتعدى وظائفها عملية التعليم إلى التربية.

وبذلك تصبح عملية التعليم احد أهم وظائف التربية التي تقوم بها المدرسة والتي تشكل بمجموعها غاية المدرسة فالتعليم من وجهة النظر الثقافية هو عملية التأثير في الثقافات الفرعية للإفراد من خلال تزويدهم بالخبرات والمعارف التي تعمل على إعادة تشكيل القيم والاتجاهات العقلية والنفسية أو تغييرها. (١١)

و يقسم التعليم وفق هذه التصنيفات حسب الأسس أو النظم التي يعتمد عليها في تحديد بيداغوجيا** التربية التي يشكل التعليم احد أهم وظائفها إذ يقسم إلى التعليم المدرسي التقليدي الذي يوسم فيه المتعلم أو التلميذ بأنه عبارة عن بنك تخزن فيه الخبرات والمعارف إلى حين طلب استرجاع هذه

الودائع بعد جهد جهيد في الامتحان النهائي أو الفصلي وذلك ما يسميه باولو فريري بالتعليم البنكي الذي يميز الثقافات الفقيرة حيث إن المجتمعات تتسم بهذا الجانب من الفقر الثقافي من خلال افتقارها لنمط التعليم النقدي ذلك التعليم الذي يعمل على خلق روح الابتكار والتجديد وبالتالي من خلال تطوير الخبرات والمهارات الفردية بما يجعل من عملية التميز والابتكار تتسع في النطاق المتعارف عليه. ويكفينا في ذلك إن احد أهم تعاريف التعليم ذلك الذي يتضمن إكساب الفرد القدرة على الحوار والتفاعل والبناء مع البيئة الطبيعية و الاجتماعية الذي ينمي العقل النقدي الذي يعد واحدا من أهم مرتكزات تطور العلوم والتكنولوجيا فيشير التعليم النقدي إلى الاستثمار الايجابي لقدرات المتعلم مع ما يمكن أن يتعلمه من خلال المدرسة في حين إذ تشير هذه العملية إلى النمط الأهم من التعليم الذي يعنى بعملية بناء العقل النقدي من خلال التفاعل المباشر و البناء بين المعلم و المتعلم بالإضافة إلى ضرورة ارتباط المواد التعليمية ارتباطا مباشرا بالبيئة التي يعيشها الفرد و التي يمكن أن تسمى بالتعليم الحواري أو ديموقراطية التعليم.(١٢)

ومن استقراء مجمل التعريفات اللغوية والاصطلاحية السابقة يجد الباحث أن التعريف الإجرائي لمفهوم التعليم هو مجموعة الطرق العلمية التي يتم من خلالها البناء التدريجي للخرائط المعرفية للفرد بما يمكنه من تدعيم أو إضعاف الدوافع التي تجعل من نماذج الفعل الاجتماعي جزء من العادات وبالتالي تنمية قدراته من خلال تزويده بالقيم والاتجاهات والمعارف والمهارات التي تمكنه من الخلق والتجديد والابتكار الذي يرتكز إلى ترجمة المفاهيم إلى سلوكيات في جميع نواحي الحياة الاجتماعية من اقتصادية وسياسية ودينية وتربوية وأسرية.

الديموقراطية (Democracy)

الديموقراطية (Democracy) اشتق هذا المصطلح من كلمتين إغريقيتين هما (Demos) والتي تعني الشعب و(Kritia) التي تعني السلطة أو الحكومة وبذلك يكون المعنى الحرفي لمصطلح (Democracy) سلطة الشعب أو حكومة الشعب وقد ظهرت هذه الطريقة في الحكم لأول مرة في الحضارة الإغريقية عندما سادت فيها دويلات المدن، وتكمن مميزات هذه الطريقة في ممارسة الشعب الحكم المباشر من خلال الإسهام في صنع القرارات السياسية والمصيرية (كعقد الاتفاقيات ونشوب الحروب) عن طريق مجلس يضم غالبية المواطنين في المدينة الدولة إن لم يكن جميعهم أو على الأقل رؤساء الأسر فيها حيث كان الشعب يبت في القرارات بصورة مباشرة رفضا أو قبولا تلك القرارات التي أعدتها السلطة الحاكمة من خلال المبارزات الجدالية الكلامية بين المؤيدين والمعارضين من اجل إقناع الجمهور بقبول القرار أو رفضه. إلا أن ما يشوب هذه الطريقة البدائية من طرق الديموقراطية والتي تسمى (الديموقراطية المباشرة) هو الطريقة التي يعد فيها الفرد مواطنا له حق المشاركة في عملية اتخاذ القرارات إذ اقتصرت هذه الطريقة على عدد محدود من مواطني الدولة المدينة الذين يتميزون عن غيرهم بكونهم من النبلاء الإغريق من سكان المدينة الأصليين من الذكور الأحرار غير الممتهنين لمهنة بعينها عدا التعلم و التعليم والتجارة والجيش كمحاربين.(١٣)

أما الديموقراطية في الفكر السياسي المعاصر فتعرف وفقا للاستخدام الذي وضعت فيه موضع التطبيق فقد تعددت تعاريف هذا المفهوم بتعدد استخداماته في الحياة الاجتماعية وبتعدد الصفات التي يمكن أن تضفى على هذا المفهوم كالديموقراطية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والشعبية وحتى الديموقراطية الدينية. وقبولا يمكن أن تقسم إلى قسمين هما :-

١. تعرف الديموقراطية على أنها نظام الحكم الذي يقوم على مبدأ الأغلبية وهذا ما يكسبها الصفة القدسية (فلسفة القديس أوكستين) إذ إن صوت الناس هو صوت الحق أو هو صوت الله إذ تكون الأغلبية في هذه الحالة دوما على حق والأقلية دوما على باطل وليس لها أي حق سوى أن تكون أغلبية في قادم الأيام بالإضافة إلى حقها الإلهي بالوجود.(١٤)
٢. أما المعنى الثاني فهو المعنى الذي أضفاه عليها الرواقيين الذين يعدون كل قوة مصدر خطر ومن ثمة فان الحاكم العادل هو الحاكم محدود القوة أو السلطة وان السيادة المطلقة لا يوثق بها شأنها شأن

الحاكم المطلق السلطة إذ تعمل في هذه الحالة على ترويج القرارات السياسية التي تعبر عن مصالحها. كما يجب أن تحاط الحكومات بقيود وكوابح من اجل حماية حقوق الأقليات ولمنع استغلال السلطة من قبل الحاكم (ممثل الاغلبية) إذ تمثل هذه الكوابح الضمانات الهامة للحقوق المدنية والشخصية لإفراد المجتمع بمن فيهم الأقليات ويتطابق هذا المفهوم مع مفهوم الديموقراطية التحررية (الليبرالية) فعرفوا الديموقراطية على أنها (إعطاء الشعب حق ممارسة السلطة والسيادة التي تقوم على أسس أهمها المواطنة والتي تعني المساواة في الحقوق والواجبات والمجتمع المدني بمؤسساته المختلفة والحريات العامة). (١٥)

وهنا نجد أن الديموقراطية المعاصرة دخلت إلى جميع ميادين الحياة الاجتماعية بما فيها الدين فالمساواة في احترام الطقوس والشعائر الدينية للإفراد وواجباتهم الدينية وتنظيماتهم الدينية الطوعية والحرية العامة في اعتناق الأفكار الدينية التي يشأون.

فمن مميزات النوع الأول من الديموقراطية اهتمامها بالنظام أكثر من اهتمامها بالحقوق والحريات العامة. أما النمط الثاني فقد اهتم بالحقوق والحريات العامة أكثر من اهتمامه بالنظام بالإضافة إلى اهتمامها بسلامة الفرد وخير المجتمع حيث ذهب البعض في الديموقراطية الليبرالية إلى ضرورة فصل السلطات التنفيذية والقضائية والتشريعية من اجل ضمان الديموقراطية الحقيقية.(١٦)

اما ديموقراطية التعليم فهي اتاحة الفرص المتساوية لاطراف العملية التعليمية في ابداء الاراء حول النظم التعليمية ومحتوياتها ومحتويات المناهج التعليمية بما يخلق نمطا من التعليم الحواري يكون فيه كلا من المعلم والمتعلم متساويين بالحقوق و الواجبات تجاه المؤسسة التي ينتمون اليها و تجاه المجتمع الاكبر بما يخلق العقل النقدي من خلال اكتساب الفرد القدرة على التحليل النقدي لما يكتسبه من اللخبرات و المعارف في عملية التربية و تحديدا من خلال الدور الذي تؤدية المدرسة من رياض الاطفال و حتى نهاية المرحلة الجامعية.

التعليم الحواري

الحوارفي اللغة العربية هو الجواب، وقيل المحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب . والحوار من أهم أدوات التواصل الفكري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي التي تتطلبها الحياة في المجتمع المعاصر لما له من أثر في تنمية قدرة الأفراد على التفكير المشترك والتحليل والاستدلال كما ان الحوار من الأنشطة التي تساعد الانسان على التحرر من الانغلاق و العزلة وتفتح له مجالات للتواصل يكتسب من خلالها مزيدا من المعرفة والوعي الاجتماعي كما انه طريقة للتفكير الجماعي والتفكير النقدي الذي يؤدي إلى توليد الأفكار باستمرار والبعد عن الجمود ويكتسب الحوار أهميته من كونه وسيلة للتآلف والتعاون وبديلاً عن سوء الفهم والتقوقع والتعسف.(١٧)

يعريف التعليم الحواري على انه عملية تنمية القدرات والمواهب التي تؤمن الكفاءة الفعلية في اكتساب المعرفة من خلال خلق العقل العلمي الذي يجعل من عملية التعلم اكثر يسرا واكثر كفاءة في مواجهة متطلبات الحياة الاجتماعية للفرد والمجتمع على حد سواء.(١٨)

وقد سمي بالتعليم الحواري لانطوائه على التفاعل المباشر بين ما يتعلمه الفرد من معلمه وبين متطلبات المهنة التي يتم اعداده لها بالنسبة الى التعليم المهني او الجامعي او بين ما تتضمنه مناهج التعليم وبين ما يمكن ان يرتبط ارتباطا مباشرا بحياة الفرد بحيث يدفعه ذلك الى المقارنة بين ما تعلمه وبين ما يعيشه في الاطار البيئي.

لذا يكون التعلم في مثل هذا النمط من التعليم هو عملية الاستزادة من المعطيات العلمية الواقعية تجاه الظاهرات الطبيعية التي يعيش في كنفها الفرد فيحدث ما يشبه الحوار بين الحاجات وبين ما يتلقاه الفرد من تعليم يساعده في اشباع الحاجة الى الاجابة عن تساؤلاته بدأ من الحاجات الفيزيقية العامة وانتهاء بتساؤلات الانسان حول موقعه في الكون ودوره في الحياة الدنيا. هذا من جانب اما من جانب اخر فالتعليم الحواري هو ذلك النمط من التعليم الذي لا يرتكز بصورة اساسية الى القدرات الفنية

والتعليمية للمعلم فقط بل يتعداها الى استنفار القدرة على التعليم في الطالب الذي يكون في هذا النمط من التعليم معلما ومتعلما في ان واحد وكذا هو حال بالنسبة الى المعلم بما يخلق حافز الابداع والابتكار عند كل منهما الذي يتم فقط من خلال تخليص المعلم والطالب من عقبة العجز في التفاعل مع بعضهما. فالدرس في التعليم الحواري هو عملية تفاعل مباشر بين المعلم والمتعلم عن طريق الحوار الذي يتم تحت اشراف المعلم نفسه بوصفه الاكثر خبرة و ليس بوصفه المصدر الوحيد للمعلومات او الممر الوحيد الذي يمكن ان تستوعب المناهج التعليمية من خلاله بالاستناد الى القوانين العلمية التي تخص مجال التعلم في المادة التعليمية.(١٩)

و قد لاحظ الباحث من خلال خبرته البسيطة في التعليم الجامعي ان هذا الحاجز التفاعلي بين الطالب والمعلم يؤثر تاثيرا مباشرا على المعلم قبل الطالب فيدفع به الى الجمود والانعزال عن التطورات العلمية عن الحياة العلمية وذلك لاعتماده على منهج واحد يمكن ان يحفظ تلقائيا نتيجة تدريسه لسنوات عدة دون اي تغيير يذكر او اية متابعة لما هو جديد في ميادين العلوم التي يتخصص بها الاستاذ الجامعي على وجه الخصوص. بل ان بعض التدريسيين الجامعيين لجاءوا الى تلخيص المنهج وتحفيظ الطالب هذه الملخصات اختصارا للجهد على الطالب والمعلم على حد سواء. الامر الذي دفع العديد من الاساتذة الجامعيين الاكفاء الى عدم الاعتماد على المناهج بصورة مباشرة بل اللجوء الى اعتمادها كمصادر اضافية للمعلومات التاريخية التي تتاح للطاب الجامعي. ناهيك عن فقر المكتبات العلمية المتاحة التي لم يتعود الطالب اصلا على استخدامها الا في المرحلة الاخيرة من التعليم الجامعي في فترة قصيرة جدا لاسقاط فرض هو بحث التخرج الذي يعد من المعضلات التي يواجهها معظم الطلبة.

ويرى غاستون باشلار ان العقل العلمي ينشأ فقط من تجاوز النرجسية الفكرية وخلق الرغبة لدى الانسان في ان يعرف كيف يحسن الاجابة عن التساؤلات التي تقف حائلا بينه وبين التوافق والتكيف مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها الامر الذي يخلق حافز الابتكار والابداع عن طريق السعي الى تطوير القدرات العقلية للوصول الى اشباع هذا الدافع بما يضفي عليها الجانب العلمي الموضوعي الذي ينشاء من الجذور التي تمتد الى الحياة اليومية ومواقفها والقدرة على تجاوز المواقف الافتراضية.(٢٠)

ويعد هذا النمط من التعليم من اهم وسائل تدعيم التربية الاساسية لافراد المجتمع لانه يدفع بالفرد الى تعلم المعرفة الحية التي تشير الى تلك المعرفة التي تفيد المرء في سلوكياته و تساعده على التفاعل الايجابي مع واقع حياته من خلال تأثيراتها والتي تشير بشكل أساسي إلى تعلم التفكير والتدبير والتكيف.(٢١)

اذ تستند عملية التعلم من وجهة نظر علم النفس التربوي الى حالة انعدام التوازن بين المتطلبات الفكرية للانسان التي تتركز على العديد من الاجابات حول الظاهرات المحيطة به ونتيجة لجهله بمجموعة التفسيرات التي تخص هذه الظاهرات الامر الذي يدفعه الى التساؤل عن ماهية هذه الظواهر واسباب حدوثها اذ رافقت هذه المتطلبات الانسان منذ لحظة نشوء الخلية والى يومنا هذا مع ما وصلت اليه الحضارة من الرقي والتقدم العلمي والتكنولوجي بالاضافة سعيه الى معرفة العوامل المؤثرة بها وامكانية السيطرة عليها وبالتالي الانتقاء من هذه الظواهر لما هو مفيد وتدعيمه وتجنب ما هو ضار أوالحد من اثاره السلبية في اقل تقدير.

ان تزايد الاستياء من أسلوب المعرفة (اليقينية) فى التعليم والذى يعتمد على التلقين كطريقة فى نقل هذه المعارف وهنا تكمن أهمية الحوار كطريقة فى التعليم بأنها تساعد الطالب على تحقيق التفاعل الإيجابي والثقة بالنفس وتساهم فى تكوين الإنسان المتقدم حيث تكمن أحد الفروق الهامة بين الإنسان المتقدم والإنسان المتخلف فى أن الأول يملك القدرة على التفكير النقدي والابتكار والتفاعل مع الأحداث فى حين يتميز الثانى بكونه سلبيا وكثيرا ما ينتظر الآخرين ليفكروا له حتى يعتمد على نتائج تفكيرهم.(٢٢)

والحوار يمكن أن يساعد على توضيح الأفكار المتقدمة للتلاميذ وذلك بتحليل هذه الأفكار والتعبير عنها بطريقته بالاعتماد على الدافع النفسي والرغبة في المشاركة الإيجابية، والفاعلية تعنى إحساس المتعلم بمشكلة معينة تلح على تفكيره وتجعله في حالة عدم اتزان وتثير هذه الحالة عددا من التساؤلات تستحوذ على تفكيره وتجعله يسعى بنفسه إلى الإجابة عنها وبذلك فإن الأفكار التي يصل إليها تصبح أقوى أثرا في النفس وأثبت في الذهن من تلك التي يصل إليها عن طريق التلقين من الآباء والمعلمين.

التعليم المدرسي

التعليم المدرسي هو التعليم المؤسسي، الممنهج، النظامي، الرسمي، الذي تقوم به الدولة من خلال مؤسسات التعليم عبر مراحل تعليمية محددة ومعارف محددة مسبقا، المراد منها تخريج افراد ذوي كفاءات ومهارات محددة.(٢٣)

يحتل المنهج المثبت من قبل المدرسة موقعا متميزا في العملية التربوية والتعليمية بالمدرسة ، وينظر إليه باعتباره جميع الخبرات والأنشطة والتجارب الانسانية الملائمة لعمر معين يشغله الطالب في مرحلة دراسية معينة الذي يهدف إلى بناء وإعداد الأجيال الجديدة للمستقبل. ومازالت المناهج في المدارس العربية تركز على المعلومات التاريخية المزدحمة بالتفاصيل. في الوقت الذي يؤكد فيه الأدب التربوي المعاصر على المضمون وبناء المعنى و يقصد بالمضمون المضمون الموجه نحو إعداد أجيال تستطيع أن تتعامل مع العصر بكل متطلباته وتحدياته من خلال تعاملها مع البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيشون فيها.

نظرا لأهمية العوامل المكملة للدور التعليمي للمعلم في الارتقاء المستمر بمستوى التلاميذ الذي يمثل الغاية التي يسعى إليها أي نظام تعليمي مثل حالة المدرسة ، وكثافة فصول الدراسة وطبيعة المناهج ونوعية التكنولوجيا المستخدمة في التعليم ومصادر التعلم، ومقومات بيئة التعلم، إلا أنها تظل عديمة الجدوى، ما لم يتوافر المعلم القادر على توظيف ذلك بفاعلية وتوجيهه صوب الأهداف التربوية المنشودة للمدرسة.(٢٤)

يُقدّم التعليم المدرسي المعارف والخبرات على شكل معلومات أكاديمية جاهزة محدودة الصلة بواقع الأبناء في الأسرة والمجتمع. كما يقوم بتعليمها لهم بطرق رمزية نظرية دون اية فرص تُذكر لإختبارها أو ممارستها في الواقع وكذلك فان التعليم المدرسي العام (الرسمي) يسوده لدرجة لا تقبل الشك سلبيات خطيرة على نمو العلمي والاجتماعي للطلبة فالتركيز على الحضور والغياب للمعلمين والمتعلمين اكبر من الاهتمام بالعمل على تعليم أفراد هذه الفئة المعارف والخبرات والقيم والمهارات التي يحتاجونها لنمو شخصياتهم وللنجاح في أداء مسؤلياتهم وحياتهم العملية اليومية.(٢٥)

لذا فان التعليم المدرسي هو اسلوب التعليم التقليدي الذي يتعلم فيه التلميذ من خلال المدرسة فقط جميع المعارف العلمية فيما يخص حياته المستقبلية المهنية والعلمية.وهو يستند الى مجموعة من المقررات المنهجية التي اعدت مسبقا لتعليم الطلبة وفق نمط محدد من المعارف التي تؤهلهم لتجاوز المرحلة الدراسية التي يمرون بها. إذ أن واضعيها يفترضون صلاحيتها وملاءمتها لأي كان وفي أي مكان او لاي زمان. فنادرا ما تخضع المناهج التعليمية الى التغيير اذا ما عمل الطلبة على اتقان هذه المعارف عن طريق الحفظ فقط بغض النظر عن مدى ارتباطها مع الواقع الاجتماعي فذلك يشير الى مقدار تقدمهم في المدرسة.

و يقوم هذا النمط من التعليم السائد في معظم مجتمعات الدول العربية ان لم نقل جميعها و بتنميط استخدام الطلبة لعقولهم عن طريق تقنين هذا الاستخدام الذي يعد واحدا من خصائص التربية التقليدية التي تقوم بشكل اساسي على نقل الخبرات والمعارف من المعلم الى المتعلم عن طريق الحفظ والتلقين بالاستناد الى منهج دراسي اعد مسبقا لهذا الغرض غير قابل للتعديل او النقاش بل يسلم به على انه الحقائق الطلقة التي يجب ان يتعلمها الطالب وكذا فان القدرة على الحفظ هي مقياس كفاءة

الطالب في تعلمه للخبرات و المعارف التي يتطلبها الاعداد المهني له خصوصا في المرحلة الجامعية .(٢٦)

لذا فان دور المعلم يقتصر على تبسيط ونقل المعلومات من المنهج التعليمي الى التلميذ دون اي مراعاة لقدرات التلاميذ في الحفظ وقابلياتهم على تلقي التلقين الذي يقوم به المعلم ناهيك عن ان الانجاز في مثل هذا النوع من التعليم يقوم على اساس من قدرة الطالب على استرجاع المعلومات التي تلقاها من المعلم عند الطلب من خلال منظومة من المواقف التي تحدد مستوى الطالب العلمي دون اية مراعاة للظروف التي يمر بها الامر الذي يخلق نمطا من الخضوع التلقائي الذي يحد و بشكل كبير من قدرة الطالب على التفاعل مع المعلومات التي يتلقاها.(٢٧)

إن التعلم المدرسي الحالي يربي الطالب على ضرورة أن يكون موضوعيا فيما يتلقاه من معارف جاهزة ، التي تعتبر هي فقط المعارف الصحيحة. وبالتالي فان هذه الطريقة قد سحبت من الطالب إمكانية مناقشة تلك لمعارف وانتقادها. وسحبت منه ايضا إمكانية التساؤل حول اهميتها لحياته العملية أو رفضها. فمجرد أن تطرح المدرسة على المتعلم فإن ذلك يعني أن على هذا المتعلم أن يبني رد فعل مناسب تُجاه هذه المعارف وبناء كهذا يتم عادة ضمن إطار ماهو معترف به في المؤسسة المدرسية كنمط ذهني تثمنه الامتحانات، وتترجمه إلى علاقات.(٢٨)

إننا نؤكد أن الطريقة التلقينية هى الطريقة الوحيدة التى تتفق وحالة تلك المجتمعات فى تخلفها وتبعيتها حيث تتلخص العملية التربوية فى التلقين والتحفيظ لمجموعة مختارة من النظريات والكتابات وهكذا تقدم الأفكار والنظريات بوصفها مقولات نهائية غير قابلة للمناقشة أو النقد، وغير مطلوب من التلاميذ سوى حفظ هذه النظريات والأفكار واعتبارها نهائية كما أنه غير مطلوب من المعلمين سوى تلقين التلاميذ هذه النظريات من خلال اعادة صب الطالب في قوالب جاهزة دون أى حافز او دافع للابتكار أو التطوير من خلال النقد إلذي يساعد على تجاوز هذه النظريات والأفكار إلى ما هو أرقى منها.(٢٩)

ولذلك فليس صدفة أن البلدان المتقدمة التي هجرت هذا النمط من التعليم منذ ثلاثينيات القرن الماضي تسير فى عملية التطوير والتحديث بلا توقف منذ عصر النهضة وحتى الآن، لأن النقد والتعامل النقدى مع المسلمات الذى بدأ بشك ديكارت الأب الروحى للتفكير العلمى الحديث هو أحد أركان الحضارة الغربية الحديثة وهو ركن يتحقق فى كافة مجالات الحياة بما فيها المجال التربوى في تفتقر المجتمعات النامية والمتخلفة الى مثل هذه الروح العلمية بل انها تعمل على قتلها عند الطلبة من خلال حصر اهتماماتهم العلمية في مجموعة من المعارف التاريخية التي اكل الدهر عليها و شرب.(٣٠)

على الرغم من إن تخلف البنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية لبلدان العالم الثالث تعود لأسباب متنوعة الا ان من اهمها بالطبع اعتمادها على النقل والتقليد وقد انعكست هذه الظروف على العملية التعليمية التى اعتمدت على التلقين كطريقة للتعليم.(٣١)

و يمكن ان يعرف الباحث التعليم المدرسي تعريفا اجرائيا على انه ذلك النظام التعليمي الذي يركز على اعتماد العملية التربوية على حفظ المعلومات المدونة في المناهج التعليمية و استرجاعها عند الحاجة او الطلب اذ تحشى ذاكرة الطالب بهذه المعلومات قسرا اذ يقيم الطلاب على اساس من سعة الذاكرة دون الاهتمام بما يوفره هذا النمط من التعليم في المتعلم من القدرة على ربط محتوياته بالواقع المعاش و الحاجات الاجتماعية لنواتج العملية التعليمية.

النظم التعليمية

النظام في اللغة يقال: نظم اللؤلؤ، ينظمه، ونظَّمه نظاماً ونظماً ونظَّمه؛ بمعنى: ألفه وجمعه في سلك واحد فانتظم وتنظَّم. والنظام: كل خيط نظم به لؤلؤ ونحوه، ويطلق على العقد من الجوهر والخرز ونحوهما، وجمعه، نظم. وتطلق أنظمه، و أناظيم، ونظم: على السيرة والهدي والعادة، ونظام الأمر: أي قوامه وعماده، والنظام: الطريقة اذ يقال ما زال على نظام واحد، والانتظام الاتساق. وخلاصة معنى

النظام في اللغة ومادته: أنَّه يدل على التأليف والجمع والترتيب والتنسيق، وقد ينقل من الأمور المحسوسة إلى المعنويات فيقال: نظم المعاني بمعنى رتبها وجعلها متناسقة العلاقات، متناسبة الدلالات على وفق ما يقتضيه العقل. بعرف النظام على أنه مجموعة المبادئ، والتشريعات، والأعراف، وغير ذلك من الأمور التي تقوم عليها حياة الفرد، المجتمع، الدولة، وبها تنظم أمورها. ولعل هذا التعريف على إجماله يلم بدلالات النظام وبجوانبه المتعددة.(٣٢)

وقد يطلق مفهوم النظام ويراد به معنى عاما فيكون أحد مفاهيم العقل الأساسية، ويشمل الترتيب الزماني، والمكاني، والعددي، والسلاسل، والعلل، والقوانين، والغايات، والأجناس، والأنواع، والأحوال الاجتماعية، والقيم الأخلاقية والاجتماعية.(٣٣)

وتحت هذا المعنى العام يكون النظام في المنطق الرياضي، والنظام الطبيعي، والنظام الاجتماعي، والنظام الأخلاقي. وقد يطلق النظام ويراد به معنى خاصاً فيقال نظام العمال، ونظام المحامين، ونحوهما ويطلق على جميع هذه الأنظمة (نُظُم).(٣٤)

مفهوم النظام هو مجموعة متكاملة متشابكة من العناصر أو الكيانات المرتبطة بعلاقات تبادلية بين بعضها البعض تنتظم داخل إطار مشترك يستقبل متغيرات محددة تتفاعل مع الكيانات التي بداخله تحت تأثير الظروف المحيطة به لتتحول إلى عوامل محددة ويمكن النظر إلى النظام على أنه وحدة أو جهاز يتكون من مجموعة من الأجزاء المتداخلة ترتبط هذه الأجزاء ببعضها بعلاقة تأثيرية مستمرة فإذا حدث تغير في جزء منها يحدث تغير في بقية الأجزاء.(٣٥)

والنظام system هو مجموعة المكانات التي تشغلها وحدات النسق الاجتماعي التي تتيح لها التفاعل مع غيرها من الوحدات الاخرى بهدف تحقيق اهداف هذا النظام.(٣٦)

اما النظم التعليمية فهي تشير الى مجموعة من النظم التي تتالف من الوحدات التي تكون بدورها وحدات العملية التعليمية بما يضمن تحقيقها للاهداف الفردية والاجتماعية او تحقيق غاية المؤسسة التعليمية في المجتمعات على اختلاف انواعها .

المبحث الثالث : خصائص التعليم المدرسي

تكتسب النظم التعليمية مميزاتها بشكل اساسي مما يمكن ان تحققه من ايجابيات او سلبيات كمخرجات على مستوى التطبيق في الحياة الاجتماعية الذي يظهر مدى او امكانية تفاعل هذه العوامل مع غيرها من العوامل الاجتماعية تفاعلا ايجابيا او سلبيا يعود بالنفع العام على الفرد والمجتمع على حد سواء. من خلال قدرة هذه التفاعلات على اشباع الحاجات الفردية والاجتماعية المتجددة. وبالتالي فان مثل هذه العوامل تسهم في الحفاظ على تماسك البناء الاجتماعي. ناهيك عن اسهامها في تحديد وجهة التغير الاجتماعي الذي يكتسب طابع الحتمية في الحياة الاجتماعية. باتجاه تحقيق التغير الموجه لانساق البناء الاجتماعي بالاتجاه المرغوب فيه بما يحقق تطور وتقدم المجتمعات وبالتالي رقيها في سلم التطور الحضاري والعكس بالعكس.(٣٧)

يتميز التعليم المدرسي بالعديد من العناصر التي تعد من اهم نقاط الاختلاف بينه وبين التعليم الحواري او بينه وبين غيره من النظم التعليمية الاخرى وبالتالي فان هذه العوامل هي التي ستحدد بشكل عام هوية هذا النظام او ذاك من النظم التعليمية الفاعلة في المجتمع. وهذه الاختلافات تقوم على اساس من العناصر الرئيسة المعتمدة في بنيته والتي تميزه عن غيره من العوامل التي قد تكون مشتركة بين اكثر من نظام فالخصائص من وجهة نظرالباحث تشير الى نمط من العوامل التي تسهم في التفرد الذي يتميز به هذا النظام عن غيره.(٣٨)

و يمكن ايجاز اهم خصائص التعليم المدرسي في النقاط الاتية:-

١- تتميز العملية التعليمية بوجود التفاعل المباشر بين طرفيها وهما الطالب والمعلم والعلاقة التفاعلية بينهما في هذا النمط من انماط النظم التعليمية تتسم بالجمود وذلك لاعتمادها العديد من العوامل التي

تعتبر من القيم الاساسية في ادارة العملية التعليمية والتي تضع الحواجزبينهما بما يمنع من تجاوزها من قبل كل من طرفي العلاقة، سواء في جوانب العلاقات الشخصية او العلاقات الرسمية، فلا يتاح للطالب التساؤل عن اهمية المواد الدراسية العلمية في الحياة البيئية ومستقبل الطالب المهني. اذ ان المفهوم العام للتعليم من وجهة نظر الطلبة في الاقل هو طريقة للاعداد لمهنة مستقبلية، كما لا يتاح له تقييم جهود المعلم من ناحية قدرته على ادارة التفاعل داخل الفصل الدراسي، او حتى الحديث بما يتسم به المعلم من ضعف القدرة على ايصال المادة العلمية وتبسيطها بالامثلة والشروحات الى ذهن الطالب الفتي الذي يفتقد الى الخبرة في التعامل المباشر والقدرة على الربط بين موضوعات المناهج العلمية وموضوعات الظواهر الاجتماعية والبيئية التي يتعايش معها الطالب في البيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها.

٢- ان الطريقة التلقينية المستخدمة في التعليم المدرسي تجعل من عملية التفاعل تعتمد على احد جوانبها دون الاخر اذ يكون هناك عقل واحد يفكر فعال وعقول اخرى منفعلة مهمتها الاساسية الاستقبال المعلومات المطروحة وحفظها بغض النظر عن الاختلافات الفردية بين مجموعة العقول التي يتالف منها الفصل الدراسي. فالتلقين يقوم على تعطيل ملكة التفكير النقدي في عقل الطالب على اعتبار ان المعلومات التي يطرحها المعلم او المنهج التعليمي هي معلومات نهائية مطلقة الصحة. الامر الذي ينفي فكرة نسبية العلوم وبالتالي قابليتها على التغير والتطور ناهيك عن انه يعطل أيضا عقل المعلم عن الاستزادة من العلوم الحديثة ومتابعتها بالاعتماد على نمط من المعلومات لسنوات طويلة تحفظ تلقائيا من كثرة الترداد على مسامع الطلبة في السنوات الدراسية المتوالية والتي تثبت فيها المناهج لعقود احيانا في بعض المجتمعات و منها المجتمع العراقي و الكثير من المجتمعات العربية اذ ان الثبات النسبي هو مزية التعليم المدرسي. هذا من جانب اما من جانب اخر فان طرفي العلاقة يتوجب عليهما أن يتبنيا رؤية الأفكار المقدمة من خلال الكتاب المنهجي المدرسى والذي اعتمدته الجهات الرسمية العليا من مكونات النظام التعليمي وبالتالي فان الخروج على مثل هذه التعليمات يعد ذنبا لا يغتفر وافسادا لعقول الطلبة وانتهاكا لمجريات العملية التعليمية التي يمكن الحكم عليها بالجمود لانها تحكم على عقل الطالب والمعلم كليهما بعدم التفكير.

٣- ان ثبات المناهج التعليمية لسنوات عدة بل في بعض المجتمعات لعقود عدة يؤدي الى عدم مواكبة التعليم للتطور العلمي الذي بات يتقدم بالاشهر لا بالسنوات بل في بعض العلوم بالاسابيع (كالطب مثلا) فنحن نسمع كل يوم عن تطوير لنظرية او نشوء اخرى جديدة على انقاض النظريات القديمة. وبالتالي فالمقارنة التي قد يجريها الطالب او المعلم ذاته بين ما وصلت اليه العلوم اليوم وبين ما يتلقاه الطالب من المعلم المجبر على ترداد المناهج يجعل من عملية التعليم عديمة الجدوى وغير مناسبة لمتطلبات العصر والاعداد العلمي والمهني لمستقبل الطلبة. الامر الذي يؤدي الى حدوث نمط من الاغتراب بين ما هو مطلوب في اللوائح والقوانين الواجبة الاتباع وبين ما هو مرغوب يسهم في تحقيق اهداف الفرد والجماعة وتحقيق الذات لدى كل من المعلم والمتعلم فما اهمية تعليم علوم اكل الدهر عليها وشرب بل انها ما عادت علوم بالمعنى العلمي للكلمة اكثر من كونها تاريخا للتطور العلمي في هذه العلوم. فالتعليم المدرسي يفتقد الى التاريخية التي تقوم على اساس التوافق بين المتطلبات المكانية والزمانية للعملية التعليمية.

٤- ان التعليم المدرسي يعمل على تنشئة كل من الطالب والمعلم على الاذعان غير المشروط للنظم واللوائح التي لا يسمح باي حال من الاحوال التساؤل عن جدواها واهميتها وملائمتها لواقع الحياة الاجتماعية او للتغير الحاصل فيها. فيعمل على خلق نمط من الثقافة الدكتاتورية بين افراد المجتمع المتمثلة في تمجيد مركزية القيم والمعلومات والسلطة والنظرة السلبية التي تشوب الخروج على مثل هذه المركزية المطلقة. وبالتالي تعود الافراد على هذا النمط من انماط السلطة وصعوبة تفاعلهم في مجتمعات ديموقراطية اذ ان القيم الديموقراطية تشكل ثقافة ديموقراطية بحد ذاتها وبالتالي تحتاج الى

اعادة عملية التنشئة الاجتماعية الفردية والعامة من اجل ترسيخ القيم الديموقراطية ولا يخفى على القاريء صعوبة هذه العلمية و مقدار تكاليفها بالنسبة الى الفرد والمجتمع .

٥- ان التعليم المدرسي يقتل لدى كل من الطالب والمعلم حافز الابداع والابتكار والتجديد الذي تتطلبه عملية التقدم العلمي والتطور الحضاري لان المناهج التي تفرض على كل منهما تعد غاية العلوم وبالتالي كل ما على الطالب حفظها وكل ما على المعلم تبسيطها لتسهيل حفظها من قبل الطلبة لاسترجاعها حال الطلب في الامتحانات التي تكون المؤشر الاساسي لكفاءة المعلم ولاجتياز الطالب للمراحل الدراسية لا بل انها المؤشر الوحيد على القدرات الذكائية للطالب على الرغم من انها تعطل هذه القدرات. اذ ان الذكاء في اكثر تعريفاته عممية هو القدرة على مواجهة اوالتغلب على المشكلات التي تواجه الفرد.(٣٩)

خصائص التعليم الحوارى

١- يعتمد الحوار على فكرة الجدل أو التفاعل التى تعنى رفض الجمود عند حالة واحدة أو طرف واحد بل يعنى التحرك دائما من حالة إلى حالة ومن طرف إلى طرف. الامر الذي يعني ان كلا من طرفي العملية التعليمية سيبصح فاعلا و منفعلا في الان ذاته و بالتالي فان عملية التفاعل داخل الفصل الدراسي ستكون عملية تفاعل ايجابي يؤدي الى التاثير و التاثر لكل من الطالب و المعلم الامر الذي يكسب كلا منهما اتجاهات جديدة نحو الاخر و نحو الحياة الاجتماعية ايضا. و بالتالي يسهم كل من طرفي التفاعل في بناء الاخر وهنا تظهر مزية الخبرة التي يمتلكها المعلم في التثاير في طلبته و توجيههم نحو ما يرغبون به من

٢- ان الحوار لا يطرح الفكرة اي فكرة كانت على اعتبار أنها مسلمة أو بديهية بل ان كل الافكار قابلة للنقاش بما فيها الافكار العلمية في العلوم الانسانية و الصرفة على حد سواء فلولا هذه المزية في العلوم لما تطورت. من خلال تناولها بالتحليل والنقد العلمي البناء الذي يوصل الى اكشاف الحقائق الجديدة و بالتالي تفعيل ملكة التفكير النقدي الذكائي لدى كل من الطالب و المعلم على حد سواء من خلال الربط المباشر بين العلوم وواقع الحياة الاجتماعية البيئية التي يعيشون فيها الامر الذي يساعد على إكسابها أبعادا جديدة أكثر عمقا و تاثير في حياة الطالب على اعتبار انه يمثل مستقبل المجتمع و غاية العملية التعليمية و بالتالي الاسهام في القضاء او الحد من الاثار السلبية في اقل تقدير لاخطر الامراض الاجتماعية الا وهو الاغتراب.

٣- الحوار هو الصراع الحقيقى الوحيد الذي لا يتحكم به ميزان القوى قدر تحكم القدرات الفردية على الابتكار والتحليل الذي يولد الاقناع والحوار صراع غير مفتعل لان الافكار فيه تاخذ طابع جدلية بطبيعتها الامر الذي يساعد على نجاح الحوار وإثرائه للأفكار، أى ان الافكار التي تخضع للحوار تحتمل العديد من التناقضات ولذا فإن تناولها من طرف واحد لا يبرز تناقضاتها وثراءها الداخلي. وقد انتهى هيجل إلى أن الفكر الجدلى شديد الثراء، وأنه يسير على إيقاع ثلاثى بدلا من الايقاع الثانئي (إيجابى وسلبى) إلى تأليف بينهما، والفكرة لا تسير على هذا الإيقاع إلا من خلال الصراع بين أفكار الطلبة توجهاتهم المتعددة وبين الافكار العلمية المطروحة للنقاش و المسنودة بخبرة المعلم وهذا الصراع لا يثرى الفكر فحسب بل يثرى ايضا العلاقة الاجتماعية بين الطلبة بعضهم مع البعض الاخر وبين كل منهم وبين المعلم وبينهم مجتمعين والمعلم اذ ان الطلبة يشكلون في اغلب الاجيان جماعة اجتماعية يسودها نمط من التضامن كما يكسب الطالب الثقة والإدراك العميق لحق الآخرين فى الاختلاف مثلما يتمتع هو بهذا الحق .

٤- ان العملية التعليمية يعتمد على تحقيقها للاهداف الاجتماعية العامة و الفردية لكل من الفرد المتعلم و المعلم من خلال ما يتم بينهما من جدل حر يساعدهم على أن يفكروا أو يحاولوا أو يفسروا معتمدين على معرفتهم ومعلوماتهم السابقة وخبراتهم بالحياة او على ما يبحثون عنه من معلومات تسند وجهات نظرهم ازاء الاخر في هذا الجدل الامر الذي يخلق روح المغامرة والبحث وعدم الرضوخ

والاستسلام بسهولة وبالتالي فان ذلك يقود الى الابداع و الابتكار وترسيخ الافكار العلمية بدلا من الاعتماد على قدرة الذاكرة على الحفظ هذا مكن جانب أن يكون المعلم من خلال مداركه الأوسع وتدريبه الجيد قادرا على إدارة دفة الحوار وتوقع ما يمكن أن يوجه له من أسئلة وعلى استعداد دائم لتقديم أجوبة مناسبة. ومن الهام أيضا أن يكون المعلم على قدر عال من التسامح فانطلاق الفكر نحو آفاق جديدة لا يمكن أن يتم فى غياب قدر مناسب من الحرية والتسامح لأن إحساس التلميذ بحقه فى التعبير عن رأيه يشجعه على الاستمرار فى التعبير كما يشجعه على التفكير فإذا لم تتوفر فى الموقف التعليمى حرية التفكير فلا يمكن للأفكار أن تتطور وتنضج ومن ثم فالحوار الذى لا يستند إلى الديمقراطية يهدم أهم أسس الحوار لآن حركة الفكرة وتطورها تعتمد على حرية التعبير التى تتيح لجميع التلاميذ الفرصة لاختبار صحة أو خطأ الأفكار الكامنة فى عقولهم .

٥- يصبح الحوار ذا أهمية فقط عندما يستند على عقلية ناضجة وواعية وقادرة على تحليل المواقف بشكل مرن ومتحرر من التمسك المتعصب بالأفكار المسبقة وقادرة على تقديم الحقائق وتناولها بدلا من القفز إلى النتائج المباشرة. كما ينبغى على العقلية المتحاورة أن تتحرر من الانفعال أو الخوف الذى قد يحول الحوار إلى شكل من أشكال العراك وبدون عقلية ناضجة ومعرفة مسبقة عن الموضوع يصبح من الصعب على المتحاور أن يدافع عن وجهة نظر خاصة به، وقد يعوقه ذلك عن الاشتراك الفعال فى الحوار الجارى طالما أنه لا يملك إلماما أوليا بالموضوع.(٤٠)

ديموقراطية التعليم

تكتسب المشاكل التربوية والتعليمية بعداً سياسيًا في وبالتالي يوجد هنالك صلة بين النظام السياسي في المجتمع وأنماط التربية التي يستخدمها في العملية التعليمية. ولكن هذه العلاقة ليست ذات إتجاه واحد لأنه إذا كان نمط التعليم يحدده المجتمع ككل كما أنه يعمل على تثبيتها أو تغييرها فكيف يجب أن يكون التعليم في مجتمع يريد أن يكون ديموقراطياً؟ ان ديموقراطية التعليم البعض يترجمها على انها إعطاء المزيد من الحرية والمسئولية للطلبة. وهنا يكون يتخذ مضمون الديموقراطية في طابعاً بيداغوجياً والبعض الآخر يترجمونها على انها جعل كل افراد المجتمع يتمتعون بتساوي الفرص امام التعليم ، أما بإعطاء نفس الحظوظ للجميع.

هكذا نرى أن التعليم بالنسبة للفريق الأول يمكن أن يخضع خضوعاً تاماً لمبدأ اللا مساواة مادام ليس هناك شئ يمنع البيداغوجيا الديموقراطية من ترسيخ الفوارق التي تظهر بين الطلبة والأقل نبوغاً.(٤١)

اما بالنسبة للفريق الثاني فيمكن أن يبقى التعليم ذا طابع تسلطي المهم أن لايحرم منه أحد. أن أي مجتمع لا يعتبر ديموقراطياً بمعنى الكلمة إلا إذا كونت او مارست المدرسة الديموقراطية الحقيقية. إن التربية التسلطية يمكن أن تخلق فراداً يتميزون بالخضوع أو ناقمين ، والتربية التساهلية تكون أفراداً لا يتميزون باللاابالية. لهذا فأن يرتكز التعليم قدر الإمكان على سلطة المشروع الوطني الذي يحقق طموحاتها من خلال الإجماع الوطني. في النهاية تتطلب الديموقراطية أن يكتسب الطلبة معنى التعاون وقبول الآخر وعدم نفيه ، والإيمان بأن المعرفة والقيم نسبية ، ولا قداسة في العلم ، وأن التعدد في الأفكار والآراء أمر لازم وضروري لاستمرار الحياة ، باختصار هناك أهمية لأن يكتسبو قيماً تناقض الشمولية والأحادية.(٤٢)

لذا فان زيادة عدد سنوات التمدرس بمعنى إطالة سنوات التعليم اللالزامي الأساسي منه بحيث يمتد لأطول فترة ممكنة . فليس من الديمقراطية في شئ أن نرغم الشباب والأطفال على الدخول مبكراً في عالم العمل أو التكوين المهني بل ان يستمر الاعداد المهني لمن لا يمتلكون القدرة على الاستمرار في التعليم العام واتاحة الفرصة لهم في تطوير امكاناتهم المهنية فلا نترك للأقلية منهم المجال والوقت لتثقيف أنفسهم لأن هذه الثقافة لن تكون إلا ثقافة النخبة الحاكمة. بإيجاز يجب أن يتلقى الجميع ثقافة أساسية

موحدة قدر الإمكان، لهذا يجب أن تزداد عدد سنوات التمدرس في مراحل التعليم المهني و العام على حد سواء الامر الذي يسهم في اعداد كوادر مهنية كفوءة.(٤٣)

مادام التعليم الديمقراطي موجهاً للجميع ، يجب أن يلتزم بالموضوعية ويتجنب لفظ حيادي لأن أي نوع من التعليم لايمكن أن يكون حياديا، فتدريس معارف دون غيرها يرتكز على إختيار ما. وفي هذه الحالة فإن المطلوب من التعليم بأن يكون ديموقراطيا، بينما ليس باستطاعه ذلك اذ تكمن الموضوعية في أنها تتجلى من جهة في المعارف الناجمة عن العقل البشري، وكل المبادئ الأخلاقية التي بدونها لاتصبح الحياة ممكنة في المجتمع. ومن جهة ثانية تظهر الموضوعية في الآراء التي حصل إجماع ثقافي حولها، ونجد أن الديموقراطية من بين الأفكار الأساسية في ثقافتنا المعاصرة.(٤٤)

أن التعليم في المجتمع الديمقراطي هو في أساسه تعليم عام تابع للدولة التي تلزمه بمقرراتها وبامتحاناتها، تراقب معلميه ومموليه وسلطة الدولة هنا تتوقف في إطار النظام الديمقراطي عند حد القناعات، ويصبح من الصائب أن تتدخل الدولة وأن تفرض مراقبتها من أجل حماية حرية الاعتقاد. وفي النظام الديموقراطي يجب على الدولة أن تراقب التعليم كي نتجنب تدخلات التمذهب في تحديد اتجاهات التعليم ونمطه فالتمدهب يقمع الفكر عندما يفرض كيفما كانت أهدافه ومحتوياته وطرقة على الناس أن يؤمنوا بشئ مع تركهم ما يعتقدون اي أنهم يحرمون من التفكير بحرية. فالمذهبية هي إفساد للتربية لأنها تنسب لنفسها كل الغايات والفضائل.ولايمكن أن يكون التعليم ديموقراطياً بكل ذلك فقط ، بالاضافة الى انه لابد من تحرير المعرفة المقدمة للطلاب ، وتحرير القائمين عليها المعلمين مثلا من كل أشكال القهر والتسلط سواء كان قهراً معنوياً أو رمزياً أو مادياً فلابد من تحرير المعرفة بوصفها منتجاً إجتماعياً يعبر عن تطور الواقع في لحظة ما وكذلك تحرير العلم من كل الأساطير المرتبطة به بما يخلق دوراً تنويرياً للتعليم من خلال سيادة الروح الديموقراطية سلوكاً وممارسة وبالتالي ترسيخ قيم التقدم والتحرر ، وذلك لن يتأتى إلا من خلال الإيمان بقدرة الإنسان على الإبداع والخلق، وبقدرة المجتمع على أن يعتمد على ذاته في سبيل التقدم والتطور.(٤٥)

إن الخطر الكامن في نظامنا التعليمي يأتي من الاعتماد على أحادية المعرفة، وعلى سلطة المعلم والكتاب المدرسي المنهجي ، فتطوير المناهج وتعديل السلم التعليمي لن يجدي نفعا إلا إذا تم وفق سياق مغاير تماماً سياق يعمل على غرس الروح الديموقراطية، بدءاً بترسيخ قيمة نسبية المعرفة، ومروراً بتوزع سلطة المعلم واعتباره موجهاً ومرشداً للعملية التعليمية وبالتالي سيادة روح الديمقراطية داخل وخارج جدران المدرسة، باعتبار المدرسة على صورة المجتمع الصغيراً تنعكس فيه بشكل أو بآخر العلاقات الاجتماعية والسياسية التي تتم خارج جدران المدرسة، إن الإيمان بسيادة تلك النظرة واعتبارها إطاراً مرجعياً لعملية التطوير كفيل بتطوير النظام التعليمي برمته.(٤٦)

وتختلف النظم التعليمية في فهم وتطبيق هذين الأسلوب في التعليم حسب الفلسفة التربوية التي تعتمد عليها، اذ يقوم الأسلوب الديمقراطي أساسا على منح حرية اختيار وتنفيذ المناشط التعليمية التي يرغب بها الطلبة مع تحويل دور المعلم الى موجه ومرشد يساعد على تحقيق اعلى انجاز ممكن أن جوهر الأسلوب الديمقراطي هو التزام بالخطة التي يرسمها المعلم لأنه مصدر الخبرة ، فالديمقراطيةفي التعليم هي أسلوب لإدارة الفصل أو الموقف التعليمي.

المبحث الرابع : الحاجة الى تغيير النظم التعليمية

على الرغم من ان العديد من المؤتمرات العربية عقدت من اجل النظر في واقع التعليم في الدول العربية سعيا الى الوصول الى انسب السبل التي تساعد على الارتقاء بمستوى التعليم في المجتمعات العربية من اجل تفعيل دوره في عملية التنمية الاقتصادية و الاجتماعية لهذه المجتمعات وقد اعدت العديد من الدراسات و كذا فقد طرحت العديد من المقترحات التي بقي معظمها حبرا على ورق منذ سبعينيات القرن الماضي و حتى الان لا بل ان الجامعة العربية قد تبنت العديد من المنظمات التي تهتم بتطوير

واقع التعليم في المجتمعات العربية من اجل النهوض بها سعيا الى مواكبة التطور الحضاري المتسارع في العالم المتقدم. الا ان الاهتمام المعاصر بتطوير التعليم في العالم العربي، ارتبط في جانب منه بالضغوط الخارجية وتحديداً الأمريكية، وخاصة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، ففي مبادرته التي أعلن عنها (ديسمبر ٢٠٠٢) أعلن وزير الخارجية الأمريكي السابق، كولن باول، عن عدد من التوجهات الأمريكية، التي تهدف إلى تطوير التعليم والنهوض به في المنطقة العربية، وفي يونيو ٢٠٠٤، تم الإعلان عن مبادرة شراكة من أجل التقدم والمستقبل المشترك مع الشرق الأوسط الكبير أكد فيه على أهمية التعليم وتطويره. وتنطلق الأطروحات الأمريكية للإصلاح التعليم من منظومة فكرية تستمد شرعيتها، من عدد من المسلمات ترتبط بعض جونبها برؤية الغرب للإسلام الذي تستمد منه الدول العربية مفاهيمها التعليمية، ويرتبط البعض الآخر بواقع العالم العربي الذي يعاني من التخلف والفقر والعجز وانتشار الأمية وفشل النظم التعليمية فيه عن مواكبة متطلبات العولمة.(٤٧)

تستند الحاجة الى تغيير النظم التعليمية إلى الحاجة الى اكتساب أرضيات ثقافية ومعرفية جديدة في المجتمعات العربية تؤهلها للتعايش مع بلدان العالم المتقدم و تهيأ امامها سبل النهوض بواقع هذه المجتمعات بعيداً عن ثقافة الاحتراب فيما سمي فيما بعد بمعركة كسب العقول والأفئدة وذلك من خلال اعادة صياغة النظم التعليمية التي تسهم في خلق الوعي الاجتماعي اللازم لاستيعاب التقدم و النمو و تمثله بما يتفق مع التوجهات المعرفية الجديدة التي تستند الى التركيز على إصلاح مناهج التعليم والقضاء على نظم التعليم القديمة والتي تطرح قضايا ومفاهيم جديدة على ساحة النظم التعليمية الامر الذي يفسح المجال للحوار بين التوجهات المتعارضة في هذه المجتمعات فجاء الاهتمام باعادة بناء الوعي الاجتماعي العربي و الاسلامي من خلال النظم التعليمية من اجل الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية من خطر انتشار ثقافة العولمة بعد ان عملت وسائل الاتصال الحديثة على جعل العالم عبارة عن قرية كونية يتفاعل افراد بالزمن الفعلي والذي قد يؤدي إلى تسريب بعض الأفكار التغريبية في نظم التعليم العربية نتيجة ابتعاد النظم التعليمية التقليدية عن واقع الحياة الاجتماعية و عدم قدرتها على تلبية متطلبات التنمية الاجتماعية و خصوصا التنمية الاجتماعية المستدامة.(٤٨)

اذ يتم ذلك خلال وضع أسس نظام تعليمي عربي مسلم يرتبط ارتباطا مباشرا بالنظم التعليمية الدولية المعاصرة يسمح هذا النتظام باعتبار التعليم شأناً عالمياً والتخلي عن اعتباره شأناً داخلياً، والتركيز على دور القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني في الاسهام المباشر في دعم العملية التعليمية و العمل الجاد على نشر الوعي الاجتماعي بين افراد المجتمعات العربية و الاسلامية باهمية تطوير المناهج التعليمية و دورها في عملية احداث التغير الثقافي الموجه نحو تحقيق الغايات الاجتماعية لهذه المجتمعات و المتمثلة في الحفاظ عغلى الخصوصية المجتمعية التي تتميز بها باعتبار ام الوعي الاجتماعي يعد من اهم أسس إصلاح التعليم الذي يقوم على التركيز على مخاطبة الأفراد كافراد، والقطاعات الاجتماعية في المجتمع على اعتبار انمها جماعات اجتماعية تتوافق اهدافها الاجتماعية مع الاهداف الاجتماعية العامة للمجتمع ككل على الرغم من وجود العديد من التباين في التكوينات الاجتماعية المختلفة باعتبارهم النقطة المركزية والمحرك الأساسي لمشروع الإصلاحات المنشودة.(٤٩)

اهمية التعليم في التغير الاجتماعي

يعد التغير الاجتماعي واحدا من اهم واعقد المشكلات الاجتماعية التي تناولتها الدراسات العلمية في ميدان علم الاجتماع بل واكثرها جاذبية للدارسين في ميدان علم الاجتماع و الانثروبولوجيا.(٥٠)

وذلك لتداخل العديد من الاسباب والعوامل التي تكسبه اهميته العلمية يمكن ان نوجز بعضها فيما ياتي:-

١- ان التغير الاجتماعي هواحدى الظواهر الاجتماعية الحتمية في حياة المجتمعات الانسانية قديمها وحديثها.

٢- ان التغير الاجتماعي في جميع المجتمعات الانسانية يخضع لسرعة معينة واتجاه معين من وجهة نظر كل من اصحاب النظريات الخطية والدائرية.
٣- ان العوامل التي تسهم في حدوث التغيرات الاجتماعية متعددة ومتداخلة بحيث يصعب فصل تاثيرها عن بعضها البعض الاخر الا لاغراض الدراسة العلمية التي تعتمد الى حد كبير على الدراسة التاريخية.
٤- ان سرعة واتجاه التغير الاجتماعي تعتمد بالدرجة الاساس على طبيعة و قوة تماسك الانساق الثقافية السائدة في المجتمع من ناحية تمثل التغيرات التي تحدث في احد الانساق الاجتماعية او رفضها.
٥- ان التغير الاجتماعي يعتمد من وجهة نظر علم الاجتماع على العديد من النظريات العلمية التي تجعل من عملية تحديد اي من هذه النظريات اساسا للدراسة العلمية مسالة في غاية الصعوبة لاعتمادها على الدراسات التاريخية وصعوبة تحديد معايير التغير الاجتماعي ومعايير سرعة التغير وارتباطه بالمفاهيم ذات العلاقة كالتقدم والتطور والتخلف وما الى ذلك.
٦- ان معظم النظريات التي اهتمت بدراسة التغير الاجتماعي يمكن ان تصنف وفق اطارين محددين هما النظريات الخطية والنظريات الدائرية.
٧- يعد التغير او النمو في المعرفة الانسانية واحد من اهم عوامل التغير الاجتماعي الخطي بالدرجة الاساس على الرغم من ان تاثير النمو المعرفي في المجتمعات ينحصر ضمن اطار التغير الثقافي في التفسيرات التي تعتمدها النظريات الدائرية لتفسير التغير الاجتماعي.
٨- ان التغير الاجتماعي يرتبط ارتباطا مباشرا بمفهومي التقدم والتطور.(٥١)

ان التعليم واحدا من اهم العوامل المحفزة للتغير الاجتماعي في جميع المجتمعات الانسانية وذلك لاسهامه المباشر في نمو المعرفة الانسانية وتغيير التوجهات الاجتماعية الفردية و العامة للافراد والجماعات الاجتماعية التي يتالف منها المجتمع بشكل عام هذا من ناحية اما من ناحية اخرى فان التعليم يعمل على خلق نمط من التفاهم والتواصل بين المجتمعات الانسانية وبالتالي تساعد هذه السمة على انتقال القيم والسمات والعناصر الثقافية بين المجتمعات التي تتفاعل مع بعضها البعض الاخر بصورة مباشرة او غير مباشرة عن طريق وسائل الاتصال العامة.(٥٢)

ناهيك عن ان التعليم يساعد على ظهور العديد من المخترعات الجديدة التي تتطلب عملية التفاعل معها او تمثلها والاستفادة منها في الحياة الاجتماعية للمجتمعات نمطا من التغير القيمي بما يتلائم مع الاحتياجات الفردية او المجتمعية لهذا المخترع او حاجة المخترع ذاته الى العديد من العناصر الثقافية المكملة للوظيفة الاجتماعية له والتي تقوم بها الاختراعات العلمية والتقنية.(٥٣)

تسعى جميع المجتمعات الانسانية الى ملائمة التعليم للمرحلة الحضارية والثقافية التي تعيشها بالاعتماد على اهمية في توجيه التغير الاجتماعي وتحويله الى عمليات النمو والتقدم والتطور اذ يسهم التعليم اسهاما مباشرا في تلبية الاحتياجات التنموية في المجتمعات من خلال الاعداد الاجتماعي للافراد في المجتمعات لتقبل خطط التنمية والعمل على انجاحها من خلال خلق الوعي الاجتماعي والتربوي باهمية هذه الخطط في حياة الفرد والجماعة الاجتماعية والمجتمع بشكل عام وعلى حد سواء. ويسهم ايضا التعليم بدور بارز في عملية الانتقاء الواعي للعناصر والسمات الثقافية التي تكتسبها المجتمعات من خلال عمليتي التفاعل الحضاري والثقافي بينها فيعمل على توجيه الافراد نحو تدعيم الايجابي منها ومنع وقوع او الحد من التاثيرات السلبية لها في اقل تقدير وكذلك فان التعليم يسهم في زيادة سرعة التغير الاجتماعي من خلال ما يكتسبه الافراد من القيم الاجتماعية التي تسهم بها المدرسة كمؤسسة تعليمية من خلال تزويدهم بها.(٥٤)

ومن هنا فان اهمية الدور الاجتماعي للتعليم في المجتمع في احداث التغير الاجتماعي الموجه يرتقي به الى ان يكون واحدا من اهم المؤسسات الاجتماعية المؤلفة للبناء الاجتماعي في جميع المجتمعات الانسانية على حد سواء تقاس به درجة تقدم المجتمعات من خلال خضوع هذه العملية الى

الماسسة والادارة المخططة من قبل الدولة أوالنظام السياسي في المجتمعات على اختلاف انواعها فنجده في المجتمعات المتقدمة يخضع للاشراف المباشر من قبل الدولة التي تعمل على التخطيط له وتوجيهه وربطه بالاهداف الاجتماعية العامة من خلال ربطه بالاحتياجات الاجتماعية للمجتمعات في حين نجد ان مثل هذه العملية تخضع للتوجهات الاجتماعية غير الرسمية التلقائية في المجتمعات المتخلفة او النامية وتقتصر على الحد الادنى منه كمحو الامية في المجتمعات النامية بل ان الاهمية الاجتماعية للتعليم في هذه المجتمعات تصل الى مستوياتها الدنيا اذ تقتصر وظيفة التعليم على المدرسة فحسب في حين ان الضرورة تحتم ان تتعداه الى الكثير من المؤسسات الاجتماعية الاخرى كالمؤسسة الاسرية والمؤسسة الدينية والمؤسسة الاقتصادية والمؤسسة السياسية اذ يؤثر التعليم في هذه المؤسسات تاثيرا مباشرا كما انه يتاثر بها بنفس القوة التي يؤثر بها (قانون الفعل ورد الفعل).(٥٥)

ويلعب التعليم في المجتمع العراقي دورا بارزا في مساعدته على تقبل التنغيرات الاجتماعية الاخيرة التي حدثت نتيجة الخضوع للاحتلال و التغير في السياسية الاجتماعية العامة نحو ممارسة الديموقراطية النيابية و اسهام افراد المجتمع ككل في تحديد اهم الاهداف الاجتماعية للمرحلة الحالية و المستقبلية للمجتمع العراقي هذا فضلا عن ان الحاجة الى دور التعليم اليوم في المجتمعى العراقي تنحصر في اهم مجالاتها الا وهو نشر الوعي الاجتماعي السياسي و الديني باهمية التعايش بين مكونات المجتمع من خلال التعرف على عوامل الارتباط بين الجماعات الاجتماعية المؤلفة لبناء الاجتماعي للمجتمع العراقي و بالتالي فان التخلص من اهم المشكلات التي تواجه استمرارية المجتمع و استقراره الاوهي مشكلات التفكك الاجتماعي على اساس من الانتماءات الاثنية والعرقية والطائفية الدينية يعد واحدا من اهم وظائف التعليم كما ان الحاجة الى تنشئة الاجيال المعاصرة واللاحقة على لغة الحوار السلمي بدلا من العنف الذي افضى الى الفوضى الاجتماعية التي نعيشها اليوم والتي كانت واحدة من اهم العوامل التي ساهمت في تصدير مشكلات دول جوار العراق الى العراق تحت مختلف الشعارات و المسميات الطائفية والعرقية والدينية.

اهمية التعليم في التغيرالثقافي

ان العلاقة التلازمية بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي تعطي دور التعليم في التغير الثقافي ذات الاهمية التي يتميز بها في كلا العمليتين التي يلعب فيها دورا اساسيا في اعادة خلق التوازن الذي ينتج عنه خلق التلاؤم بين السمات والعناصر الثقافية المادية في المجتمع بالنسبة الى الاول وغير المادية بالنسبة الى الثاني على حد تعبير تايلور في تصنيفه لعناصر الثقافة.

الا ان الدور الذي يلعبه التعليم في التغير الثقافي في المجتمعات يكون اوضح منه في حالة التغير الثقافي عنه في حالة التغير الاجتماعي على الرغم من ان كلا نمطي التغير متلازمان في الحدوث والعوامل التي تسهم في حدوث كل منهما هذا من ناحية اما من ناحية اخرى فان هنالك نمطا من التفاوت في سرعة واتجاه كل من التغير الاجتماعي والثقافي في كل المجتمعات الانسانية.(٥٦)

اذ نادرا ما يسبق التغير الثقافي التغير الاجتماعي (التغير في العناصر غير المادية للثقافة تغير العناصر المادية) حتى في المجتمعات الصناعية المتقدمة التي تتربع على ارقى مستويات السلم الحضاري اليوم الامر الذي يتطلب نمطا من الاهتمام بضرورة خلق نمط من التوازن بين هاتين العلاقتين او العمليتين (سرعة واتجاه كل من نمطي التغير).(٥٧)

فاذا ازدادت سرعة التغير الاجتماعي الذي يصيب العناصر المادية للثقافة عن طريق انتشار المخترعات العلمية بين المجتمعات الانسانية التي لا تعوق عملية انتشارها الحدود الثقافية كما هو الحال بالنسبة الى القيم الثقافية عنها بالنسبة الى التغير الذي يصيب العناصر غير المادية للثقافة فان اتساع الهوة بين التغير الاجتماعي الذي يصيب العناصر المادية للثقافة الاجتماعية العامة والتغير الذي يصيب العناصر القيمية غير المادية في الثقافة الاجتماعية يؤدي ذلك الى حدوث ما يسميه وليم اوكبرن التخلف الثقافي (culture lag) الذي يؤدي بدوره الى سوء او انخفاض كفاءة استغلال واستخدام او تمثل

العناصر الثقافية المادية وبالتالي الافتقار الى الوظيفة الاجتماعية للمخترعات المادية العلمية التي تخدم الحياة الانسانية.(٥٨)

كما هو الحال في المجتمع العراقي اليوم اذ ان معظم المخترعات العلمية والتقنية الحديثة يمكن الحصول عليها في اسواق المجتمع الا ان القيم المصاحبة لمثل هذه المخترعات لا نجدها تكتسب ذات الفاعلية في الحياة الاجتماعية مقارنة بالمجتمع الذي نشاء فيه هذا الاختراع او ظهر لاول مرة.(٥٩)

فالاهمية العلمية لنتائج تطبيقات العلوم الانسانية التي نشات في الغرب من اجل السعي الى توظيف الدراسة العلمية في عملية الاصلاح الاجتماعي في هذه المجتمعات والتي تقع على تماس مباشر بالحياة الاجتماعية من خلال تقاطعها او تناقضها مع بعض القيم الاجتماعية او الدينية التلقليدية تعد واحدة من اهم عوائق التوظيف العلمي الدقيق لهذه العلوم لخدمة المجتمع هذا من جانب اما من جانب اخر فان ما تميز به المجتمع العراقي من سيادة الانظمة السياسية الدكتاتورية لفترات طويلة جدا عمل على التقليل من الاهمية العلمية لهذه العلوم او بالاحرى جعل من فاعليتها في تحسين الاوضاع الاجتماعية في ادنى مستوياتها وبالتلي فان كل ما اسهمت به هذه العلوم وظف على انه منجز من منجزات المؤسسة السياسية التي اختصرت المجتمع والحياة السياسية في شخص الدكتاتور الذي اضفيت عليه جميع السمات التي كانت اهم نتائج التطبيقات العلمية لهذه العلوم.(٦٠)

والمغزى الاساسي من المثال المطروح هو ان البنية الثقافية او البناء التنظيمي للانساق الثقافية القيمية في المجتمعات النامية او المتخلفة ومنها المجتمع العراقي ما استطاعت مواكبة التغير الاجتماعي الذي حدث في تطور النسق المعرفي الانساني اذ يعد ذلك واحدا من اهم العوامل التي ادت الى انخفاض المكانة الاجتماعية لهذه العلوم في الحياة الاجتماعية العامة وعلى وجه التحديد فان توظيف التعارض بين هذه العلوم و الانساق الثقافية دفع الى محاولة تحوير هذه العلوم بحجة ضرورة ملائمتها للخصوصية المجتمعية لهذه المجتمعات تلك العملية التي بها العديد من المؤسسات الاجتماعية الاخرى كامؤسسة الدينية و الاسرية بما يلائم الحفاظ على الثبات النسبي للانساق القيمية الثقافية.(٦١)

هنا يعمل التعليم على توضيح الاهمية العلمية والتقنية للمخترعات الانسانية بالاضافة الى الاهمية الاجتماعية لمثل هذه المخترعات في المجتمعات الامر الذي يؤدي بالتالي الى خلق نمط من التوجهات الاجتماعية العامة لدى الناشئة من افراد المجتمع في اقل تقدير و بالتالي تمثلهم القيم الجديدة بما يكسب هذه المخترعات اهميتها العلمية و الاجتماعية على حد سواء حصر سمة التواصل بين المجتمعات الانسانية في حدودها الدنيا وذلك لان الحدود الثقافية في ففي مثل هذه الحالة فان الانساق القيمية التقليدية سوف تقف حائلا دون انتشار وتمثل القيم الجديدة الوافدة الى المجتمع مع المخترعات المادية كما انها سوف تقف حائلا بين التغير القيمي في القيم الاجتماعية التقليدية نحو القيم المصاحبة لهذه المخترعات وبالتالي حدوث التقدم او التطور او النمو.(٦٢)

فالتخلف الثقافي يعد من اهم العقبات التي تواجهها المجتمعات المتخلفة او السائرة في طريق النمو نحو اللحاق بركب الحضارة الانسانية بل هي العقبة التي تحول دون تقدم هذه المجتمعات اذ ان التعليم يعمل على تعديل التوجهات الثقافية بما يتلائم مع المرحلة التي يعيشها المجتمع هذا من ناحية اما من ناحية اخرى فان التنشئة الثقافية التي تشكل الجزء الاهم من عملية التنشئة الاجتماعية والتي يكتسب من خلالها الفرد القيم والاعراف الاجتماعية من الاسرة بصفتها اكثر الموسسات الاجتماعية اهمية في النهوض بهذه العملية في واحدة من اخطر المراحل العمرية في حياة الانسان.(٦٣)

وهي مرحلة تكون الشخصية عند فرويد(الخمسة سنوات الاولى) من حياة الطفل او الفرد في المجتمع بما يعمل على ترسيخ التوجهات الاجتماعية لديه نحو السلوكيات والادوار الاجتماعية له في حياة البلوغ الا ان الاسرة لا تعلم الفرد كل ما يضمن له الممارسة السوية لحياته الاجتماعية ويساعده على اشباع الحاجات المادية والاجتماعية بل ان المدرسة التي تعد واحدة من اهم المؤسسات الاجتماعية التي تلي الاسرة في الاهمية تسهم في خلق نمط من التوجهات الاجتماعية التي تعمل على تعديل هذه

التوجهات من خلال التفاعل المباشر بين الافراد داخل المدرسة ومن خلال ما يتزود به الفرد من المعرفة الانسانية التي تساعده على التمييز بين ما هو اجتماعي من العادات والتقاليد الاجتماعية بمعنى انها تلائم الاحتياجات الفردية والمجتمعية العامة من خلال قدرتها على اشباعها تلك القيم التي تعلمها من الاسرة.(٦٤)

وتزداد اهمية التعليم في التغير الثقافي من اجل خلق هكذا نمط من التوازن بين العمليتين لان التعليم يعمل على تزويد الافراد بالمعرفة الانسانية او مبادئها التي تؤهلهم الى تفهم هذه الادوات او الالات او العناصر المادية للثقافة ودورها في الحياة الاجتماعية ناهيك عن انه يعمل على خلق التوجهات الاجتماعية المناسبة لانجاح عمليات التنمية و بالتالي نمو المجتمعات و تقدمها.

النتائج والتوصيات

اولا النتائج

١- ان الدراسة المقارنة بين النظم التعليمية تتيح التعرف على اكفا هذه النظم في تحقيق الاهداف الاجتماعية العامة من خلال الاعتماد على المكوازنة بين مدخلات النظام و مخرجاته.

٢- ان الاهمية الاجتماعية للنظم التعليمية تقترن بصورة مباشرة باهميتها في احداث التغيرات الاجتماعية والثقافية الموجهة نحو نمو وتقدم المجتمعات ومساعدة الفرد في المجتمع على التخلص من المشكلات التي تعد من اهم عوائق التكيف مع البيئة الاجتماعية و الطبيعية التي يعيش فيها.

٣- ان التعليم الحوراي يكتسب اهميته من اهمية تلاءم النظم التعليمية مع الاحتياجات المجتمعية المعاصرة التي تطورت بدورها بحيث اصبحت النظم التعليمية المعتمدة في المجتمع العراقي منذ ثلاثينيات القرن الماضي بالاضافة الى دوره في بناء التفكير النقدي الذي يخلق العقل الابداعي الذي نحن بامس الحاجة اليه في المجتمع العراقي.

٤- ان ديموقراطية التعليم لا تعني اطلاق الحريات للطلبة للاخيتيار دون ايه ضوابط بل تعني عملية اخضاع العملية التعليمية الى نسق من الضوابط الاجتماعية التي يسهم الطلبة انفسهم في وضعها و الالتزام بها من خلال الوعي الاجتماعي بجميع انماطه الذي يمكنهم هذا النمط من التعليم من اكتسابه.

٥- ان ديموقراطية التعليم من خلال التعليم الحواري يعني اتاحة الفرص المتساوية امام جميع العاملين في العملية التعليمية بدأ من المخطط وانتهاءا بالطالب في اثبات ذاته من خلال الربط المباشرلا بين ما يتعلمه الطالب في المدرسه وما يتعايش معه في حياته الاجتماعية. وهو ما يسمى بالمعرفة الحية.

٦- ان الحاجة الاجتماعية الماسة الى خلق اجيال تمتلك القابلية الثقافية على تمثل ثقافة الديموقراطية تبدا من نبذ ثقافة الخضوع بدا باولى المؤسسات التعليميةالمدرسة و انتهاءا باخر مراحل التعليم في الجامعة

ثانيا التوصيات

يرى الباحث ان انسب الطرق لتحقيق النتائج التي توصلت اليها الدراسة المقارنة بين التعليم المدرسي التقليدي و التعليم الحواري المعاصر يمكن ان تتضمنها التوصيات الاتية:-

١- العمل على توجيه الدراسات العلمية المتخصصة في مجالات التربية و النظم التعليمية بما يحقق امكانية تطبيق هذا النظام في التعليم في المجتمع العراقي و بالتالي نتحقيق اقتصاديات هذا النمط من انماط التعليم (الموازنة بين مدخلات النظام و مخرجاته بحيث يعمل على تحقيق اهدافه الاجتماعية).

٢- السعي الى اعادة النظر في الفلسفة التربوية العاملة في المجتمع العراقي من اجل تجديدها او تبني الفلسفة التربوية التي تضمن نجاح مثل هذا التغيير في النظم التعليمية في تحقيق اهدافه.
٣- ضرورة قايم العديد من التجارب العلمية وذلك للتعرف الى اهم العقبات التي يمكن ان تعترض تغيير النظم التعليمية التقليدية نحو التعليم الحواري وبالتالي التعرف على نسب انتجاز النظم الجديدة لاهدافها من خلال الرقابة المباشرة و التقويم المستمر لكل من المعلم و الطالب و مدى اسهام النظام الجديد في خلق العقل النقدي الذي يسهم بدوره في تحقيق الابداع و الابتكار.
٤- ان الحكومة الديموقراطية المنتخبة هي المعني الاول باهمية القيام او النهوض باعباء هذا التغيير والسعي الى انجاحه بالطرق العلمية من خلال التنخهطيط التربوي الذي تقوم به وزارة التربية.

الخاتمة

تسعى المجتمعات النامية سعيا حثيثا الى اللحاق بركب الحضارة و امتلاك مقوماتها التكنولوجية من خلال التعليم الذي يسهم اسهاما مباشرا في تحديد عشوائية الحتمية الاجتماعية للتغير الاجتماعي في هذه البلدان فلجات الى اكتساب طرق الخصوم او المستعمر السابق في تحقيق الاهداف الاجتماعية العامة لها و على راسها الهدف المذكور اعلاه.

الا ان هنالك علامة فارقة في هذا السعي لهذه الدول او المجتمعات تكمن في جمود الانظمة التعليمية وعدم مواكبتها للتطورات الحضارية في العالم المعاصر تحت مختلف الحجج او المسميات كان من اهمها الحفاظ على الهوية الثقافية من خلال الحفاظ على الخصوصية المجتمعية من خلال عدم تقليد الغرب اللمتقدم خوفا على هذه الهخوية من الذوبان او بالاحرى خوفا من طغيان الطابع الغربي على هذه الهوية.

فكان ان وجهت العديد من الدراسات الى معرفة العوامل التي تقف حائلا بين هذه الدول وبين بلوغها مستوى من التقدم العلمي بالدرجة الاساس والتقدم التكنولوجي كتحصيل حاصل على الرغم من ان مثل هذه الدول و بما فيها الدول العربية انتجت الكثير من العقول التي كان لها الاسهام البارز في الحضارة الغربية المعاصرة. فقد عزت الكثير من هذه الدراسات التي تقع على جانب كبير من الاهمية التخلف الثقافي في هذه الدول الى الاستبداد السياسي او بالاحرى ثقافة الاستبداد التي تتفشى في هذه المجتمعات من خلال الوصاية الفكرية التي تمارسها المؤسسة السياسية التي تسعى الى الحفاظ على مكتسباتها مهما كان الثمن و مهما كانت المبررات فقد عملت هذه الدول على استيراد التكنولوجيا دون السماح بتمثل القيم المصاحبة لها للغرض المذكور اعلاه (الحفاظ على الهوية الثقافية).

فكان ان ازدادت الهوة بين هذه المجتمعات والمجتمعات المتقدمة بل ان سرعة التغير الاجتماعي الموجه نحو النمو في النمط الثاني من المجتمعات والذي يسير بوتيرة مخططة و محددة سلفا بات لا يسمح باي امكانية للحاق بهذه المجتمعات في حين تحولت عملية توجيه التغير الاجتماعي في المجتمعات النامية الى عبيء ثقيل تنوء به الدولة على ما اوتيت من امكانات وموارد طبيعية بل ان الحاجز بين هذه الدول و النمو المضطرد صار بعمق تالحاجز بين المواطن و الدولة (المؤسسة السياسية) في هذه المجتمعات. على افلرغم من ان بعضا منها اتيحت له هامش من الديموقراطية المشروطة الا ان الحال لا يشير الى اي تقدم او نمو محتمل يساعد على التخلص من وضعية التخلف التي تسم هذه المجتمعات.

ان كل الحضارات الانسانية قديمها و حديثها قامت على التفاعل الايجابي بين الانسان و البيئة الطبيعية التي يعيش فيها من خلال الالية التي اقترحها ارنولد توينبي في تطور الحضارات و ازدهارها الا وهي الية التحدي والاستجابة التي توفر فرصة للاختيار و الاختبار الاختيار يكمن في القدرة على الانتقاء بين الايجابي و السلبي من العناصر الثقافية المكتسبة عتن طريق الانتشار الثقبافي او عن طريق انتشار المخترعات بين المجتمعات الانسانية و الاختبار يكمن في قدرة الانسان في هذه المجتمعات على توضيف مثل هذه الانتشار + معطيات البيئة الطبيعية لمصلحته.فهل يمكن ان ان تحقق هذه المجتمعات

التوجيه المناسب للتغير الاجتماعي والثقافي الذي يكتسب طابع الحتمية ناهيك عن تحديد سرعته بهدف اللحاق بركب الحضارة.

من وجهة نظر الباحث ان ذلك يمكن ان يكون فقط من خلال اعادة بناء الانسان من خلال اعادة بناء عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها ثاني اهم المؤسسات الاجتماعية الرسمية التي تسهم اسهاما فاعلا في هذه العملية بعد الاسرة و بالتالي يمكننا خلق الوعي المنالسب الذي يعمل على انشاء الاسرة التي تدعم دور المدرسة و المدرسة التي توجه الافراد الساعين الى تحقيق اهدافهم الشخصية بحيث تكون هذه الاهداف مفردات لا غنى عنها في الاهداف الاجتماعية العامة وذلك لا يكون الا من خلال تنمية روح الابداع والتفكير العقلاني النقدي الذي يمكن ان ينشا عليه جيمع افراد المجتمع بما يؤهلهم لعمليتي الاختيار والاختبار المذكورتين اعلاه.

ويمكن ان يتحقق ذلك بالتدريج من خلال تنشئة الاجيال تنشئة علمية عقلانية بعيدة عن كل ما يشوبها من رواسب التخلف الثقافي في هذه المجتمعات من خلال اعادة القيمة الانمسانية للانسان في هذه المجتمعات بعد ان فقدها على يد الاستعمار القديم ثم الانظمة الدكتاتورية التي خلفت الاستعمار فكانت اشد وطاءة منه على افراد هذه المجتمعات.

لذا فنحن بحاجة الى تغيير النظم التعليمية السائدة في المجتمعات النامية ومنها الكثير من المجتمعات العربية و على وجه التحديد في المجتمع العراقي القائمة على مجموعة من العلوم والمناهج الدراسية التي ما عادت توكب التطور الحضاري ناهيك عن انها معرفة لا تتسم بشيء من الحياة (انعدام التفاعل المباشر بينها و بين البيئة الطبيعية و الاجتماعية التي يعيشها الطالب او التلميذ بما يدفعه الى التساؤل عن اهميتها في حياته الاجتماعية والمهنية المستقبلية كجزء من الاهداف التي يسعى الفرد الى تحقيقيها من خلال التحاقه بالمدرسة منذ نعومة اظفاره وحتى منتصف مرحلة الشباب.

ان هامش الديموقراطية او حتى الديموقؤراطية الفعلية لا يمكن ان تكون فاعلة في تغيير المجتمعات او بصورة ادق تحديد سرعة و اتجاه التغير الاجتماعي في هعذه المجتمعات ما دامت هنالك ثقافة استبدادية سائدة فيها مادامت هذه الثقافة تتجدد من خلال النظم التعليمية التي تعد من اكثر العوامل الاجتماعية اهمية في احداث التغير الاجتماعي المرغوب. اذ ان هذه الديموقراطية ستتحول الى فوضى عارمة لا تبقي ولا تذر و بالتالي تكون وبالا على المجتمع دون ان تكون رافة به و تكون احد اهم عوامل تاخره و تخلفه دون ان تحقق اهدافها المرسومة او المرجوة. ان النظم التعليمية التي تسود في المجتمع العراقي اليوم و في العديد من المجتامعهالت العربية و المنامية هي نظم قديمة اقتبسناها من المستعمر القديم و هي تديم الخضوع الى الاستبداد تحقيقا لاهداف المستعمر انذاك وقد هجرها المستعمر نفسه في بلاده منذ عشرات السنين فهل نرجو منها خيرا يذكر تلك النظم التي تعمل على ادتامة النظم السياسية التسلطية الدكتاتورية.

ان الحاجة ماسة الى ممارسة الديموقراطية في التعليم بالدرجة الاساس لكي تخلق بين افراد المجتمع ثقافة الديموقراطية التي لا تكون الديموقراطية بدونها سوى فوضى ضررها اكبر من نفعها هذا من جانب اما من جانب اخر فان مشاركة الطالب او التلميذ في العملية التعليمية ادعى الى خلق الفكر النقدي الذي يبتكر ويبدع ويعلم و يتعلم في الان ذاته. وهو ما نحن بامس الحاجة اليه اليوم في مجتمع يعيش في فوضى و يتخبط في ظلمات الجهل التي حصرت خيارات الا ستقرار في الدكتاتورية التي بتنا نجدها خير رادع او مخلص لما نحن فيه نتيجة سيادة ثقافة الاستبداد في المجتمع الذي عانى من هذه الثقافة طوال فترة حياة الدولة العراقية الحديثة التي لا تعرف من الحداثة الا المعنى اللتاريخي لها.

الهوامش

١- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح , دار الرسالة, الكويت ,١٩٨٣، ص ٤٥٣، ٤٥٢.

٢- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة, دار الدعوة للطباعة والنشر, تركيا, ١٩٨٩ . ص٦٢٤

3- Oxford, World power dictionary, Oxford university press 2006 p
4- Ibid
٥- جمال اسد مزعل، التعليم في العراق, مطابع جامعة الموصل, الموصل ١٩٩٠، ص ١٥٤ و ما بعدها
٦- عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية, مكتبة وهبة, القاهرة, ١٩٧٧.ص٣٤٩
* نقصد بالمعرفة الحية تلك المعرفة التي تفيد المرء في سلوكياته و تساعده على مع واقع حياته من خلال تأثيراتها و التي تشير بشكل أساسي إلى تعلم التفكير والتدبير التكيف .
٧- محمد علي حافظ، التخطيط للتربية والتعليم, المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء و النشر, القاهرة و ١٩٦٥، ص٩١
٨- جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية, مكتبة رأس, بيروت ١٩٧٢ ط٣،٤٥٨ وما بعدها
٩- محمد عاطف غيث، علم الاجتماع التطبيقي, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية ١٩٨٩،ص١١٢
١٠- عبد الباسط محمد حسن مصدر سابق ص ٣٤٨
١١- قاسم عبد عوض، التربية وإنسان الغد من اجل فلسفة عربية للتربية, المؤتمر الفلسفي العربي الثاني, بيت الحكمة, بغداد, ٢٠٠٢.، ص ٧٣٥
** البيداغوجيا تعرف في علم الاجتماع التربوي على أنها عملية صناعة و فهرسة الطرق البينية على مختلف علوم الإنسان في حين يرى دوركهايم بأنها النظرية العلمية التي تركز موضوعها في التفكير بالنظم التربوية وطرائقها بغية تقدير قيمتها بهدف إفادة عمل المربين و توجيهه. ينظر إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي, دار الجيل, بيروت, لبنان, ٢٠٠٥ ، ص٢٥
١٢- باولو فريري تعليم المقهورين, ترجمة يوسف نور عوض, دار القلم, بيروت, ١٩٨٠ ، ص ٤٩
١٣- محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧ ص
١٤- علي محمد لاغا الديموقراطية والشورى لم يذكر اسم الناشر ١٩٨٣ ص١١٣- ١٣٣
١٥- عبد الوهاب حميد رشيد التحول الديموقراطي و المجتمع المدني دار المدى للثقافة و النشر دمشق ٢٠٠٣ ص٣٥-٤٠
١٦- صلاح كاظم جابر الديموقراطية ملزمة منهجية أعدت لطلبة المرحلة الثانية في كلية الاداب ص٤
١٧- فاخر عقل علم النفس التربوي دار العلم للملايين بيروت ط١٤ 1998 ص١٣٥
١٨- ايفان اليتش مجتمع بلا مدارس نقلا عن نقد العقل المتخلف يوسف نور عوض، دار القلم, بيروت, ١٩٨٠، ص٣٧
١٩- اريك فروم المجتمع السليم تعريب محمد محمود مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٠ ص ٢٣٠-٢٤٠
٢٠- غاستون باشلار العقل العلمي ترجمة خليل احمد خليل المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ٢٠٠١
٢١- الحضارة والإنسان.. وعي حوار والتوصل جريدة الثورة الالكترونية ملحق ثقافي التاريخ : الثلاثاء ٢٠٠٥/٩/٦ ظافر بشور تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر ـ دمشق
٢٢- شبل بدران ، التعليم وتحديث المجتمع ، القاهرة ، دار قباء للنشر ، ٢٠٠٠ ، ص ٤٥-٥٠
٢٣- حسام فتحي أبوجبارة التعليم أداة للقهرأو طاقة للتحرر مجلة المعرفة الالكترونية دبي العدد ١٤٨ - رجب ١٤٢٨هـ يوليو2007 م
٢٤- جورج شهلا و اخرون مصدر سابق
٢٥- المصدر السابق
٢٦- كونانك، توما دو (٢٠٠٤). الجهل الجديد ومشكلة الثقافة، ت: منصور القاضي، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص٩٠.
٢٧- المصدر نفسه
٢٨- باولو فريري مصدر سابق ذكره
٢٩- حسام فتحي ابو جبارة مصدر سابق
٣٠- المصدر نفسه
٣١- شبل البدران مصدر سابق ٢٠٠٠
٣٢- ناصر الغزالي نظرة موجزة لواقع النظم التعليمية في سوريا -http://www.mokarabat.com/mok 105.htm
٣٣- مجدي محمد طايل ماهية النظم التعليمية في تحقيق متطلبات التنمية http://www.minshawi.com/vb/showthread.php?t=430
٣٤- تعريف النظم في اللغة والإصلاح54k - www.ibnalislam.com/mohadhrat1.htm
٣٥- سامح جميل العجرمي اصول مدخل النظم و الرواد الاوائل لنظرية النظم http://www.techno.ps/vb/showthread.php?p=185

٣٦- المصدر نفسه
٣٧- احمد زقاوة المدرسة ودورها في تربية وإعداد النشيء ٢٠ آب (أغسطس) ٢٠٠٦ http://www.diwanalarab.com/spip.php?auteur422
٣٨- المصدر نفسه
٣٩- شبل بدران وحسن البيلاوي ، علم اجتماع التربية الجديد ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٣ ، ص ٩٧ – ١٣٩.
٤٠- يوسف نور عوض نقد العقل المتخلف دار القلم بيروت ١٩٨٠ ص ١٧ وينظر أنيسة احمد فخرو – الثقافة والتعليم ، التفوق وابداع، توزيع كنوز المعرفة – الطبعة الاولى ١٩٩٧ – البحرين ص ٣١. وينظر هيفاء جمل الليل وكيري لوفر البحث عن مدرسة المستقبل http://www.alwgf.com/vb/showthread.php?t=147
٤١- للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي ديمقراطية الثقافة والتعلم في الإسلام ٩-إبريل-٢٠٠٧
٤٢- المصدر نفسه
٤٣- د. شبل بدران نظام التعليم العربي والديمقراطية ـ علاقة غائبة مجلة جسور الثقافية الالكترونية العدد (3)
٤٤- المصدر نفسه
٤٥- المصدر نفسه
٤٦- علي عبد الواحد وافي مصدر سابق
٤٧- التربية والتغير المنشود جريدة (الزمان) --- العدد ١٥٦٦ --- التاريخ ٢٠٠٣ ـ ٧ ـ ٢٦
٤٨- مالك الريماوي الفكر التربوي خارج الشرط الاستعماري http://www.qattanfoundation.org/pdf/1564_18.doc
٤٩- شبل البدران وحسن البيلاوي مصدر سابق
٥٠- د الأخضر شريط مفهوم الانسان العربي الجديد بين البناء الثقافي و البناء الاجتماعي http://www.binnabi.net/?p=131
٥١- المصدر نفسه
٥٢- جريدة الزمالن مصدر سابق
٥٣- جورج شهلا و اخرون مصدر سابق
٥٤- الاخضر شريط مصدر سابق
٥٥- نحو تغير جذري في السلوك الحضاري khayma.com/taasil/sulook.htm
٥٦- المصدر نفسه
٥٧- جورج شهلا و اخرون مصدر سابق
٥٨- محمد الجوهري و اخرون دراسات في التغير الثقافي دار المعرفة الجامعية الاسكندرية د.ت. ص ١٧٠-١٧٧
٥٩- المصدر نفسه
٦٠- المصدر نفسه
٦١- محمد عبدة محجوب مقدمة في الانثروبولوجيا دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٥ ص ٢٤٧-٢٥٨
٦٢- المصدر نفسه
٦٣- المصدر نفسه

المصادر

١. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح , دار الرسالة, الكويت ,١٩٨٣
٢. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة, دار الدعوة للطباعة والنشر, تركيا, ١٩٨٩ .
3. Oxford, World power dictionary, Oxford university press 2006 p
٤. جمال اسد مزعل، التعليم في العراق, مطابع جامعة الموصل, الموصل ١٩٩٠
٥. عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية, مكتبة وهبة, القاهرة, ١٩٧٧.
٦. محمد علي حافظ، التخطيط للتربية والتعليم, المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء و النشر, القاهرة و ١٩٦٥
٧. جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية, مكتبة رأس بيروت ط٣، ١٩٧٢
٨. محمد عاطف غيث، علم الاجتماع التطبيقي, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية ١٩٨٩،

٩. قاسم عبد عوض، التربية وإنسان الغد من اجل فلسفة عربية للتربية, المؤتمر الفلسفي العربي الثاني, بيت الحكمة, بغداد, ٢٠٠٢.،
١٠. باولو فريري تعليم المقهورين, ترجمة يوسف نور عوض, دار القلم, بيروت, ١٩٨٠ ،
١١. محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧
١٢. علي محمد لاغا الديموقراطية والشورى لم يذكر اسم الناشر ١٩٨٣
١٣. عبد الوهاب حميد رشيد التحول الديموقراطي والمجتمع المدني دار المدى للثقافة والنشر دمشق ٢٠٠٣
١٤. صلاح كاظم جابر الديموقراطية ملزمة منهجية أعدت لطلبة المرحلة الثانية في كلية الاداب
١٥. فاخر عقل علم النفس التربوي دار العلم للملايين بيروت ط١٤ 1998
١٦. ايفان اليتش مجتمع بلا مدارس نقلا عن نقد العقل المتخلف يوسف نور عوض، دار القلم, بيروت, ١٩٨٠
١٧. اريك فروم المجتمع السليم تعريب محمد محمود مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٠
١٨. غاستون باشلار العقل العلمي ترجمة خليل احمد خليل المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ٢٠٠١
١٩. الحضارة والإنسان.. وعي حوار والتوصل جريدة الثورة الالكترونية ملحق ثقافي التاريخ : الثلاثاء ٢٠٠٥/٩/٦ ظافر بشور تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر ـ دمشق
٢٠. شبل بدران ، التعليم وتحديث المجتمع ، القاهرة ، دار قباء للنشر ، ٢٠٠٠ ،
٢١. حسام فتحي أبوجبارة التعليم أداة للقهرأو طاقة للتحرر مجلة المعرفة الالكترونية دبي العدد ١٤٨ ـ رجب ١٤٢٨هـ يوليو2007 م
٢٢. كونانك، توما دو (٢٠٠٤). الجهل الجديد ومشكلة الثقافة، ت: منصور القاضي، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،
٢٣. ناصر الغزالي نظرة موجزة لواقع النظم التعليمية في سوريا -http://www.mokarabat.com/mok 105.htm
٢٤. مجدي محمد طايل ماهية النظم التعليمية في تحقيق متطلبات التنمية http://www.minshawi.com/vb/showthread.php?t=430
٢٥. تعريف النظم في اللغة والإصلاح54k - www.ibnalislam.com/mohadhrat1.htm
٢٦. سامح جميل العجرمي اصول مدخل النظم و الرواد الاوائل لنظرية النظم http://www.techno.ps/vb/showthread.php?p=185
٢٧. احمد زقاوة المدرسة ودورها في تربية وإعداد النشيء ٢٠ آب (أغسطس) ٢٠٠٦ http://www.diwanalarab.com/spip.php?auteur422
٢٨. شبل بدران وحسن البيلاوي ، علم اجتماع التربية الجديد ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٣
٢٩. يوسف نور عوض نقد العقل المتخلف دار القلم بيروت ١٩٨٠
٣٠. أنيسة احمد فخرو – الثقافة والتعليم ، التفوق وابداع، توزيع كنوز المعرفة – الطبعة الاولى ١٩٩٧ – البحرين
٣١. هيفاء جمل الليل وكيري لوفر البحث عن مدرسة المستقبل http://www.alwgf.com/vb/showthread.php?t=147
٣٢. للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي ديمقراطية الثقافة والتعلم في الإسلام ٩-إبريل-٢٠٠٧
٣٣. د. شبل بدران نظام التعليم العربي والديمقراطية ـ علاقة غائبة مجلة جسور الثقافية الالكترونية العدد (3)
٣٤. التربية والتغير المنشود جريدة (الزمان) --- العدد ١٥٦٦ --- التاريخ ٢٠٠٣ ـ ٧ ـ ٢٦
٣٥. مالك الريماوي الفكر التربوي خارج الشرط الاستعماري http://www.qattanfoundation.org/pdf/1564_18.doc
٣٦. د الأخضر شريط مفهوم الانسان العربي الجديد بين البناء الثقافي و البناء الاجتماعي http://www.binnabi.net/?p=131
٣٧. نحو تغير جذري في السلوك الحضاري khayma.com/taasil/sulook.htm
٣٨. محمد الجوهري و اخرون دراسات في التغير الثقافي دار المعرفة الجامعية الاسكندرية د.ت.
٣٩. محمد عبدة محجوب مقدمة في الانثروبولوجيا دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٥

Abstract

When the social change tack place in one aspect of the social live the other aspect would influenced with this changes, so it will change for that. In the globality age we have serious need to rebuild educational systems to face the variable needs. Sense the social and political change in the Iraqis society impose this needs , and the direct linkage to the globalization create this needs, so the dialogue education will create the democracy of culture among the people. And it creates the eventful mined. Because we are bareness didactic in the filed of education. And we bareness for democracy. Because we are unknown to practice it. The didactic will create this practice by the cultural democracy when it diffusion among the members of the society when they have real practice in their scholars. And in their didactic. They will contribute in the development of their society. So we have a serious need to change the old autocracy didactic systems. To the new one to be democracy. That will active contribute in the development of the society. Then we could control on the speed and the aspects of the social change. To achieve the general social goals in the civilization progress. To catch the modernization countries. And give up the dictatorship from our social live by socialized the new members on the cultural democracy. In this way only we could belong down from the social chaos that we suffer from. Which make us wish the return the dictator to organized our social live and to achieve the social depositing that we miss it the later social and political change.